الختان وأحكامه
فى ضوء السنة النبوية

تأليف

د / كمال على على الجمل

مدرس الحديث وعلومه فى كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة



الختان وأحكامه
فى ضوء السنة النبوية

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ مصر ـ المنصورة

٣٨ ش الثورة (السكة الجديدة) ت ، ف: ٣٤٣١١٥ ص. ب:١٦٧

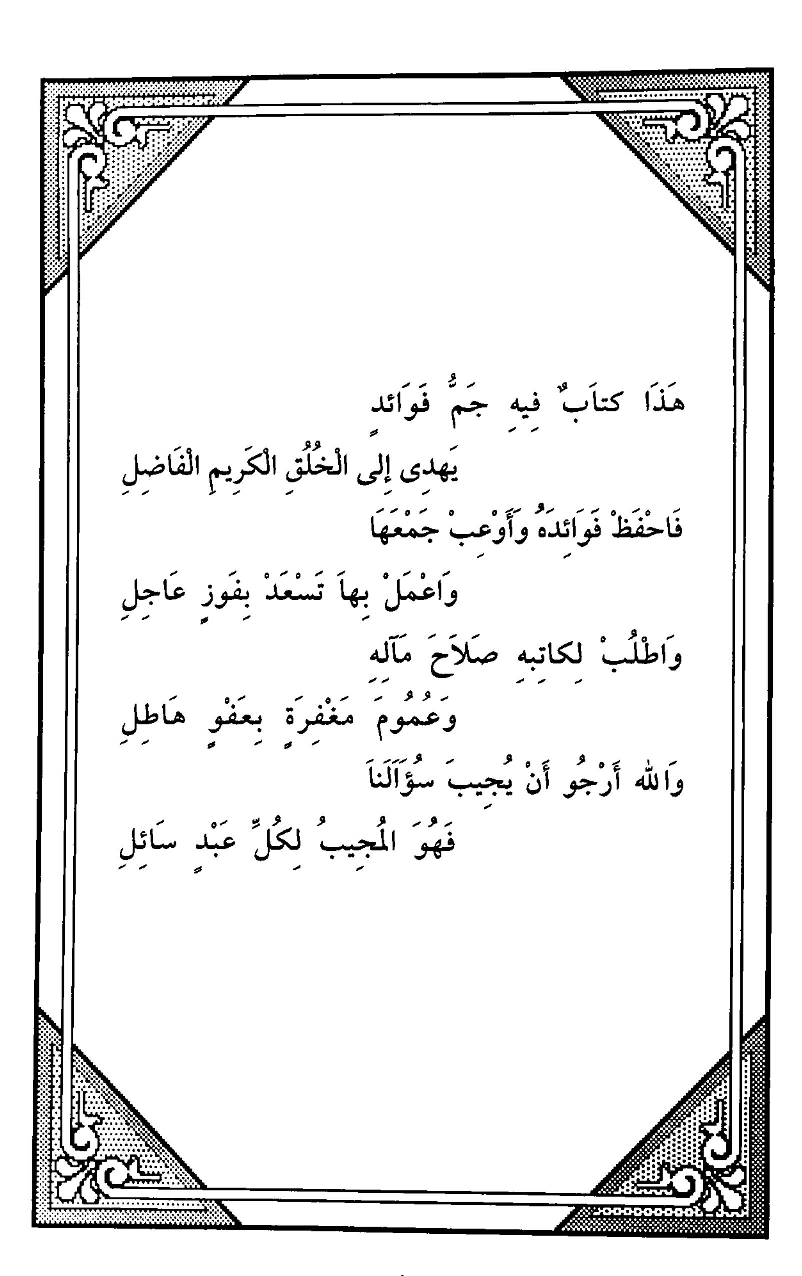
الختان وأحكامه في ضوء السنة النبوية

تأليف

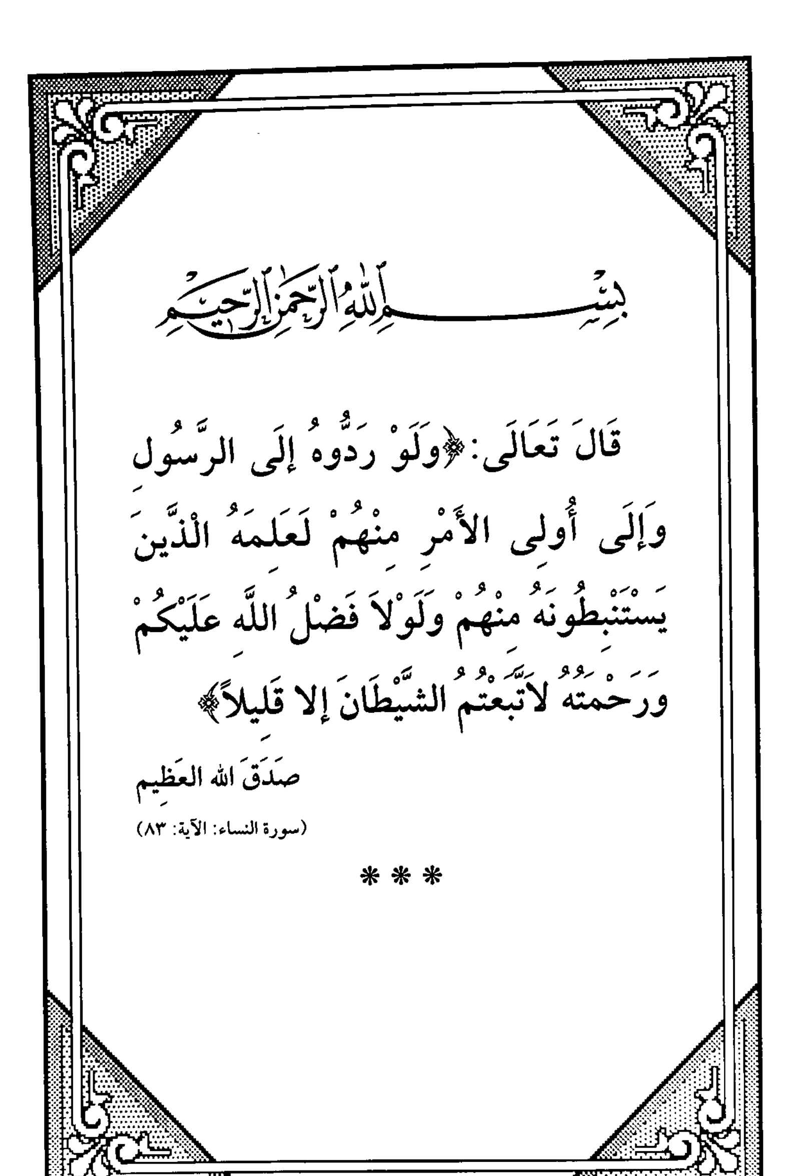
د / كمال علي علي الجمل

مدرس الحديث وعلومه في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ مصر ـ المنصورة



هَذَا كتاَبٌ فِيهِ جَمٌّ فَوَائد
يَهدِى إِلى الْخُلُقِ الْكَرِيمِ الْفَاضِلِ
فَاحْفَظْ فَوَائِدَهُ وَأَوْعِبْ جَمْعَهَا
وَاعْمَلْ بِهاَ تَسْعَدْ بِفوزٍ عَاجِلِ
وَاطْلُبْ لِكاتِبه صَلاَحَ مَآله
وَعُمُومَ مَغْفِرَةٍ بِعَفْوٍ هَاطِلِ
وَالله أَرْجُو أَنْ يُجِيبَ سُؤَالَنَا
فَهُوَ الْمُجِيبُ لِكُلِّ عَبْدٍ سَائِلِ



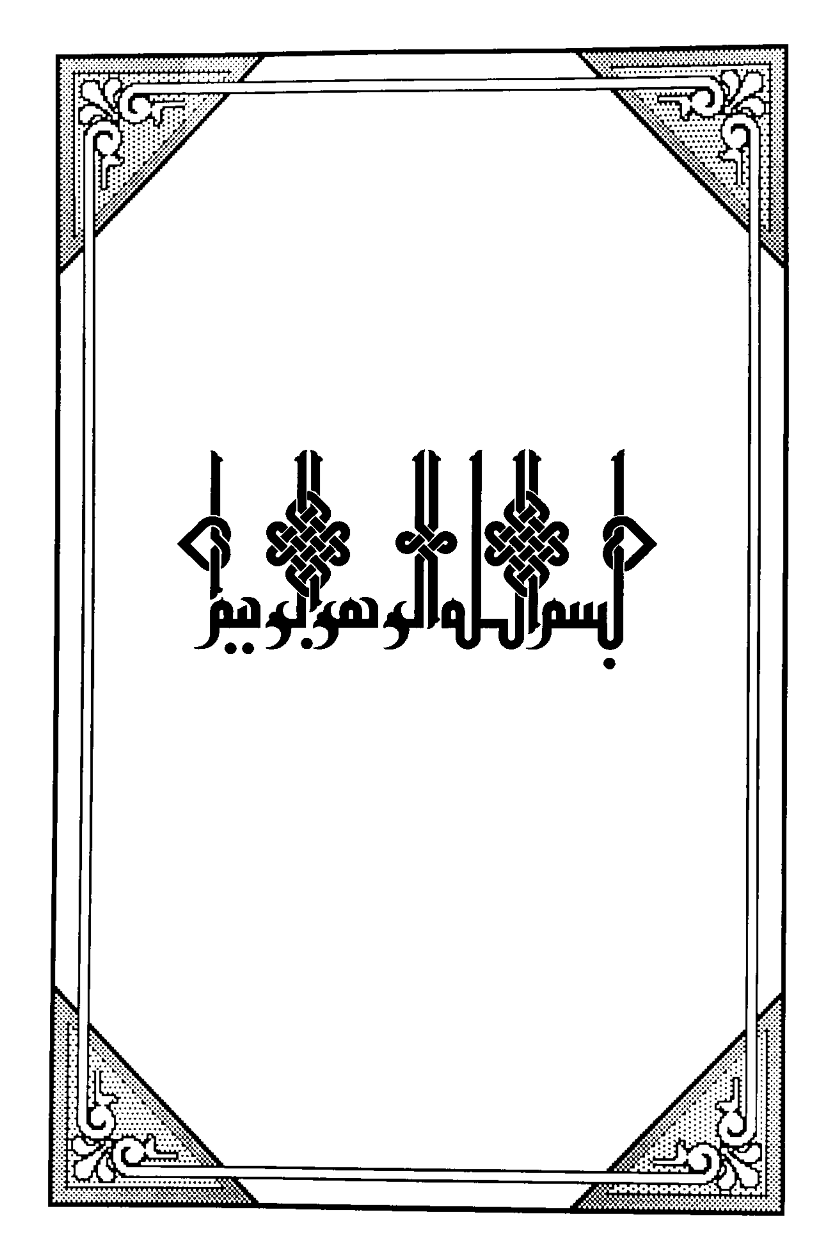
بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلاً﴾

صَدَقَ الله العَظِيم

(سورة النساء: الآية: ٨٣)

* * *


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمدَ للهِ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستهديهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ به من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهده اللّه فهو المهتد، ومن يضللْ فلن تجدَ له ولياً مرشداً. وأشهدُ أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية: ١٠٢).

﴿يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (سورة النساء الآية :١)

﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(سورة الأحزاب الآيتان: ٧٠، ٧١)[١].

---

(١) هذه المقدمة تسمى: (خطبة الحاجة) كان الرسول ﷺ يعلم أصحابه أن يقولوها بين يدى كلامهم فى أمور دينهم سواء أكان خطبة نكاح أم جمعة أم غير ذلك.
والحديث أخرجه: أبو داود فى النكاح ٢/ ٢٤٥ رقم ٢١١٨، والترمذى فى النكاح ٣/ ٤١٣رقم ١١٠٥وقال: حديث عبد الله بن مسعود حديث حسن.
والنسائى فى النكاح ٦/ ٨٩.
وعبد الرزاق فى المصنف ٦/ ١٨٧ رقم ١٠٤٤٩.
والطبرانى فى المعجم الكبير ١٠/ ١٢١ رقم ١٠٠٨٠.
والحاكم فى المستدرك ٢/ ١٨٢ وسكت هو والذهبى عنه.
والبيهقى فى السنن الكبرى ٧/ ١٤٦. =

أما بعد، فإنى أتقرب إلى الله تعالى بتقديم هذا الكتاب للقارئين والدارسين، وقد بحثت فيه موضوع الختان، وبخاصة ختان البنات، مما أعاننى الله تعالى عليه من جمع المعلومات، وبما فتح الله تعالى علىَّ، وهدانى إليه من حقائق ووقائع، ومن أقوال وآراء ومن أدلة وبراهين من السنة المطهرة، فيما يتعلق بهذا الموضوع.

أقدم هذا الكتاب تذكرةً للمؤمنينَ، وموعظةً للمتقينَ، وتنبيهاً للغافلين، وبياناً للعاقلينَ. كما أضعه بين يدى الواقفينَ على مُفترق الطرق حَيارى عَلَّه يأخذ بأيديهم إلى سواء السبيل، ويهديهم إلى الطريق المستقيم.

وأعرضه على المخدوعين بمظاهر المدنية الحاضرة، ليكشف لهم عن خُبث طويتها، وخطر مركبها، وسوء مصيرها، بل أرفعه لكل إنسان ذكراً كان أو أنثى، فى أى زمان ومكان، وعلى كل مستوى ومجال، ليعلم وليتحقق أن السعادة لا تكون إلا فى ظل شريعة الإسلام، وتحت راية القرآن، وسنة خير الأنام ﷺ.

ولست مبتدعاً فيما كتبتُ وسطرتُ، وإنما نقلتُ للقارئ النصوص القاطعة من سنة خير الأنام ﷺ، وسقتُ إليه البراهين الساطعة من واقع الحياة، ليكون على بَصيرة من مفاهيم الإسلام، وبينة من واقع حياة الإنسان.

وعسى أن يلمس محتوى هذا الكتاب قلباً مؤمناً فيزيده إيماناً، أو يصادف عقلاً حائراً فيكون له برهاناً، أو يواجه نفساً أمارة فيكون عليها سلطاناً.

= جميعاً من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

وله شاهد من حديث عبد الله بن عباس أخرجه مسلم فى الصحيح فى كتاب الجمعة ٢/ ٥٩٣ رقم ٤٦ بنحوه، ولم يذكر الآيات الكريمة.

وإنى لأسأل الله تعالى أن أكون بذلك قد بلغت وبينت، ونصحت وذكرت مخلصاً فى نيتى إلى الله، ومتأسياً بالنبى محمد ﷺ والنبيين من قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران الآية: ١١٠)

وقال تعالى إخباراً عن نوحٍ عليه السلام: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾(الأعراف الآية ٦٢).

وقال تعالى إخباراً عن هودٍ عليه السلام: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف الآية: ٦٨).

وأخرج الشيخان عن سَهْلِ بن سعد رضى الله عنه أن النبىَّ ﷺ قَالَ لعلىٍّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه: «فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِىَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خيرٌ لكَ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ»[1].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب فضائل الصحابة باب مناقب على بن أبى طالب القرشى الهاشمى أبى الحسن رضى الله عنه ٧/ ٨٧ رقم ٣٧٠١ مطولاً.
ومسلم فى فضائل الصحابة باب من فضائل على بن أبى طالب رضى الله عنه ٤/ ١٨٧٢ رقم ٣٤.
وحمر النعم: هى الإبل الحمر. وهى أنفس أموال العرب. يضربون بها المثل فى نفاسة الشئ، وأنه ليس هناك أعظم منه.

من واقع مجتمعنا

تجتاح مجتمعنا الحاضر ومصرنا الغالية موجة عارمة من الحديث على الختان، وبخاصة منه ختان الإناث، أو ما يسمى بخفض النساء، وادعى البعض أن خفاض البنات ليس له سندٌ صحيحٌ من السنة المطهرة، وقد تجرؤا بذلك على سنة خير الأنام ﷺ .

وقامت الدنيا ولم تقعد بعد على هذه الظاهرة كما يسمونها، وأطلقوا ألسنتهم حداداً فى ذم هذه السنة الطيبة، ووجدوا من يساعدهم من بعض المنسوبين إلى العلم الذين يلتمسون المرجوح من آراء السابقين، ويقدمون بعض أقوال الرجال على النصوص المرفوعة الصحيحة الموثقة.

إن هذه الهجمة على الختان رغم خطرها المحدق، وضررها المطبق ـ كما سنبين في فصول هذا الكتاب ـ يقوم بها ـ دعاتها ومروجوها ـ إما عن جَهْلٍ أو غَفْلَةٍ، وسوء فهم للنصوص، وإما عن خُبث نية وسوء طوية، وإما عن عداوة وبغضاء.

هؤلاء تراهم يعملون لهذه الجائحة الخطيرة ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً متسترين بالشعارات العريضة الخادعة، وبالهتافات الصاخبة الكاذبة، علماً بأن وسائل التمويه والخداع مهما كانت من القوة،ومهما بلغت من الدقة فلن تعدم الحقيقة وتفنيها، وإن كان باستطاعتها أن تعمى عنها وتضلل عن طريقها لوقت،ثم ينتهى ويظهر كل شىء بعدها على حقيقته وجوهره وأصالته ومنبته.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا

وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة الآية: ٢٠٤ ـ ٢٠٦).

أولئك نادوا من قبل بتحرير المرأة: لكن تحريرها من الفضيلة والشرف والحياء، وهتفوا بالعطف على المرأة: لكنهم قسوا عليها أشد من وائدى البنات فى الجاهلية الأولى، وأعلنوا مساواتها المطلقة، فكلفوها ما لاتطيق، وحادوا بمؤهلاتها الفطرية وكفاءاتها الجبلية عن جادة الطريق.

ادعوا كرامة المرأة: فأوردوها موارد الذل والحقارة، وأشربوها كأس الهوان والقذارة، أرادوا تحريرها فاستعبدوها، وعطفوا عليها فأهلكوها وحاولوا إكرامها فأهانوها، وهم حيالها وحوش شرسة، وذئاب مفترسة ولصوص مختلسة.

وإذا رأوا فتاة وضيئة بأعين الغدر رمقوها، أو امرأة رشيقة بسهام الخيانة لحظوها، وودوا افتراسها وسلب عفافها، همهم فى الحياة إشباع النزوات وغايتهم إرواء الشهوات، ومقصدهم الانسلاخ من جميع الضوابط والحدود والآداب والأخلاق والتقاليد والعادات، محاولين قلب مجتمعنا إلى ما يناسب تفكيرهم الأعوج، وقلوبهم السوداء، وأنفسهم الخبيثة، إلى مجتمع قائم على الفساد والإباحية، والإلحاد واللادينية والفوضى واللا أخلاقية.

وفى وجه هؤلاء وقف دعاة الإيمان، وجنود الرحمن، وأهل العلم والعرفان قمماً شامخةً وجبالاً باسقةً، يذودون عن حياض الدين والشرف ويدافعون عن كرامة الأمة والبلاد، محاولين إنقاذ البلاد من الفساد وإنجاء العباد من الإلحاد، لتكون كلمة الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى . . .

وقد لاقوا فى سبيل ذلك العنت والعذاب، وضحوا بالغالى والنفيس،

فثبتوا وصبروا وصدقوا ونصروا، وهؤلاء هم الرجال الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ (الأحزاب الآية: ٢٣).

وبعد؛ فهذه مقدمة عرضتها عليكم أعزائى القراء لأبين مدى الهجمات الشرسة التى توجه لديننا الحنيف ولسنة نبينا ﷺ.

وبإذن الله تعالى وفضله أعرض فى هذا الكتاب بشىء من التفصيل لأقوال العلماء والفقهاء فى حكم الختان، وليكن الفيصل فى هذا الأمر قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (سورة النساء الآية: ٨٣).

وكان هذا هو الباعث لى على كتابة هذا الكتاب، الذى أرجو الله تعالى أن يتقبله بقبول حسن، وأن ينفع به المسلمين إنه سميع مجيب.

وسوف أعرض فى هذا الكتاب مايلى:

١ ـ تعريف الختان فى اللغة والاصطلاح.

٢ ـ وقت الختان، ومتى يستحب، ومتى يجب؟

٣ ـ مشروعية الختان وأنه من أصل الفطرة.

٤ ـ أقوال وآراء الفقهاء فى الختان:

أ ـ أدلة الموجبين للختان. ب ـ أدلة القائلين بأنه سنة.

جـ ـ رد الموجبين للختان على القائلين بأنه سنة.

٥ ـ بيان القدر الذى يؤخذ فى الختان.

٦ ـ أحكام الأقلف ـ وهو الذى لم يُخْتَن ـ من صلاته وذبيحته وشهادته...

٧ ـ المسقطات لوجوب الختان.

٨ ـ الحكمة التى لأجلها يعاد بنو آدم غرلاً ـ أى غير مختونين.

٩ ـ ختان أشرف الخلق ﷺ.

١٠ ـ ختان خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام.

١١ ـ ختان المسيح عيسى عليه السلام.

١٢ ـ حكم ختان البنات ومايدور حوله اليوم من شبهات. وفيه كذلك:

أ ـ نداء إلى عقل وقلب وضمير كل مسلم.

ب ـ نداء إلى المرأة المسلمة. جـ ـ غيرة المسلم الحق.

د ـ إلى دعاة الحرية المزيفة.

١٣ ـ خلاصة القول فى الختان.

١٤ ـ فتوى دار الإفتاء المصرية فى حكم ختان البنات عام ١٩٨١ م وكتاب فضيلة شيخ الأزهر المرحوم جاد الحق على جاد الحق الذى صدر منذ فترة.

وهذا والله تعالى أسأل أن يعم بهذا الكتاب النفع على المسلمين وأن يجعل ثواب هذا العمل فى ميزان حسناتى يوم القيامة، يومَ لاينفعُ مالٌ ولا بَنُونَ إلا مَنْ أَتَى الله َبقلبٍ سليمٍ.

المؤلف

أبو آلآء: **كمال على على الجمل**

مدرس الحديث وعلومه فى

كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

أولاً: تعريف الختان

الختان ـ بكسر المعجمة، وتخفيف المثناة ـ مصدر ختن ـ أى قطع[1].

والختن ـ بفتح، ثم سكون ـ قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص، والختان والاختتان اسم لفعل الخاتن ولموضع الختان كما فى حديث السيدة عائشة مرفوعاً: «**إِذَا الْتَقَى الخِتَانانِ فَقَد وَجَبَ الغُسْلُ**» [2].

قال الماوردى:

ختان الذكر قطع الجلدة التى تغطى الحشفة[3]، والمستحب أن تستوعب من أصلها عند أول الحشفة، وأقل ما يجزئ أن لايبقى منها ما يتغشى به.

وعن ختان المرأة قال: ختانها قطع جلدة تكون فى أعلى فرجها فوق مدخل الذكركالنواة، أو كعرف الديك، والواجب قطع الجلدة المستعلية منه دون استئصاله.

---

(١) راجع القاموس المحيط الجزء الرابع صفحة ٢١٨.

(٢) رواه البخارى تعليقاً فى كتاب الغسل باب إذا التقى الختانان ١/ ٤٧٠ فتح البارى.

* ووصله مسلم: فى كتاب الحيض باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين ١/ ٢٧١ـــ٢٧٢رقم ٨٨.
* وأبو داود: فى كتاب الطهارة باب في الإكسال ١/ ٥٤ رقم ٢١٦.
* والترمذى: في كتاب الطهارة باب ما جاء إذا التقى الختانان وجب الغسل ١/ ١٨٠ـــ١٨١ رقم ١٠٨.
* والنسائى: فى كتاب الطهارة باب وجوب الغسل إذا التقى الختانان ١/ ١١٠.
* وابن ماجه: فى كتاب الطهارة باب ما جاء فى وجوب الغسل إذا التقى الختانان١/ ١٩٩ رقم ٦٠٨.
* والإمام أحمد فى مسنده: ٦/ ٤٧، ٩٧، ١١٢، ١٣٥، ١٦١، ١٢٧.

(٣) الحشفة: مافوق الختان. راجع. القاموس المحيط ٣/ ١٢٨

وقيل: الحشفة: هى رأس الذكر. راجع النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ١/ ٣٩١.

وقال إمام الحرمين: المستحق فى الرجال قطع القلفة وهى الجلدة التى تغطى الحشفة حتى لايبقى من الجلدة شيء يتدلى.

وقال ابن الصباغ: حتى تنكشف جميع الحشفة.

قال الإمام النَوَوى: ويسمى ختان الرجل إعذار ـ بذال معجمة ـ وختان المرأة خفضاً ـ بخاء وضاد معجمتين[1] ا. هـ.

والمقصود: أن الختان اسم للمحل، وهى الجلدة التى تبقى بعد القطع، واسم للفعل وهو فعل الخاتن، ونظير هذا السواك: فإنه اسم للآلة التى يستاك بها، واسم للتسوك بها، وقد يطلق الختان على الدعوة إلى وليمته، كما تطلق العقيقة على ذلك أيضاً[2].

---

(١) راجع فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر نقله عن الإمام النووى فى كتاب اللباس باب قص الشارب ٣٥٢/١٠ ـ ٣٥٣. وصحيح مسلم بشرح النووى ١٤٨/٣ وطرح التثريب ٢/ ٧٥.

(٢) راجع تحفة المودود بأحكام المولود لابن قيم الجوزية ص١٢٥ بتحقيقنا ط دار الإيمان.

ثانيا: وقت الختان

الذى روى عن النبى ﷺ فى ختن الحسن والحسين رضى الله عنهما أن ذلك كان يوم السابع من ولادتهما.

فعن جابرٍ رضى الله عنه قال: «**خَتَنَ رسولُ الله حُسَنًا وحَسَيْنًا لِسَبْعَةِ أيامٍ**»[1].

وروى الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس قال: سبعٌ من السنةِ يسمى فى السابعِ وَيُخْتَنُ[2].

قال الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم: وإذا قلنا بالصحيح استحب أن يختن فى اليوم السابع من ولادته، وهل يحسب يوم ولادته من السبع أو تكون سبعة سواه؟ فيه وجهان: أظهرهما: يحسب[3] ا.هـ.

وقال الماوردى: له وقتان: وقت وجوب ، ووقت استحباب، فوقت الوجوب: البلوغ، ووقت الاستحباب: قبله.

قال: والاختيار فى اليوم السابع من بعد الولادة، وقيل: من يوم الولادة، فإن أخر ففى الأربعين يوماً، فإن أخر ففى السنة السابعة[4].

---

(١) أخرجه البيهقى فى سننه الكبرى فى كتاب الأشربة باب السلطان يكره على الاختتان ٨/ ٣٢٤.
- والبيهقى فى شعب الإيمان ٦/ ٣٩٤-٣٩٥ رقم ٨٦٣٨.
* وابن عدى فى الكامل ٢/ ١٠٧٥ .
* وذكره ابن حجر فى تلخيص الحبير: فى كتاب الختان ٤/ ٨٣ ولم يتكلم عليه.
* وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/ ٥٩ وعزاه للطبرانى فى الصغير والكبير وقال: فيه محمد بن أبى السرى وثقه ابن حبان وغيره وفيه لين.

(٢) انظر فتح البارى ١٠/ ٣٥٥ وضعفه.

(٣) راجع صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ١٤٨ .

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ١٠/ ٣٥٥.

وقال القاضى حُسين: أنه لايجوز أن يختتن الصبى حتى يصير ابن عشر سنين.

وقال إمام الحَرَمَين: لايجب قبل البلوغ لأن الصبى ليس من أهل العبادة المتعلقة بالبدن فكيف مع الألم.

وقال الإمام مالك: يحسن إذا أَثْغَرَ أى ألقى ثغرة وهو مقدم أسنانه وذلك يكون فى السبع سنين وما حولها، ونقل الحافظ ابن حجر عنه فى الفتح أنه قال: الختان طهره فكلما قدمها كان أحب إلىَّ.

وقال اللَيْثُ: يستحب ما بين سبع سنين إلى عشر سنين [(١)].

قال الحافظ العراقى: إذا قلنا بوجوب الختان فمحل الوجوب بعد البلوغ على الصحيح، لما رواه البخارى عن ابن عباس أنه سئل مثل من أنت حين قبض رسول الله ﷺ، قال: أنا يومئذ مختون، وكانوا لا يختتنون الرجل حتى يدرك[(٢)].

وخلاصة القول فى هذه النقطة ما قاله الإمام الشَوْكَانِىُّ من أن مدته أو وقته لايختص بوقت معين. قال: وهو مذهب الجمهور من العلماء وأنه ليس بواجب فى حال الصغر، وللشافعية وجه أنه يجب على الْوَلِى أن يختن الصغير قبل بلوغه[(٣)]. ا.هـ.

هذا بالنسبة للذكر، أما الأنثى فيستحب أن يكون ختانها فى الصغر كلما أمكن، ويستحب أيضًا أن يكون قبل البلوغ والنضج الجنسى قدر الإمكان.

---

(١) راجع هذه الأقوال فى فتح البارى شرح صحيح البخارى ١٠/ ٣٥٥.

(٢) أخرجه البخارى فى الاستئذان باب الختان بعد الكبر ١١/ ٩١ رقم ٦٢٩٩

(٣) راجع نيل الأوطار للإمام الشوكانى ١/ ١١٢.

ثالثاً: مشروعية الختان وحكمته وأنه من أصل الفطرة

الختان من محاسن الشرائع التى شرعها الله لعباده، وكمل بها محاسنهم الظاهرة والباطنة، فهو مكمل الفطرة التى فطرهم عليها، ولهذا كان من تمام الحنيفية ملة إبراهيم، وأصل مشروعية الختان لتكميل الحنيفية فإن الله عز وجل لما عاهد إبراهيم وعده أن يجعله للناس إماماً، ووعده أن يكون أباً لشعوب كثيرة، وأن تكون الأنبياء والملوك من صلبه، وأن يكونوا من نسله، وأخبره أنه جاعل بينه وبين نسله علامة العهد أن يختتنوا كل مولود منهم، فالختان علم للدخول فى ملة إبراهيم، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: « **الفطرةُ خمسٌ الختانُ والاستِحْدَادُ. وقصُّ الشَارِبِ، وتَقْليمُ الأظفارِ ونَتفُ الإبطِ** »[1].

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الاستئذان باب قص الشارب ١٠/٣٤٧ رقم الحديث٥٨٨٩.

* ومسلم فى كتاب الطهارة باب خصال الفطرة ١/ ٢٢١ رقم ٤٩، ٥٠ .
* وأبو داود فى كتاب الطهارة باب السواك من الفطرة ١/ ١٤ رقم ٥٤ .
* والترمذى فى كتاب الأدب باب ماجاء فى تقليم الأظفار ٤/ ٨٥ رقم ٢٧٥٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح.
* والنسائى فى كتاب الطهارة باب ذكر الفطرة ـ الاختتان ـ ١/ ١٣ـ١٥ .
* وابن ماجه فى كتاب الطهارة باب الفطرة ١/١٠٧ رقم ٢٩٢ .
* ومالك فى كتاب صفة النبى باب ما جاء فى السنة فى الفطرة ٢/ ٩٢١ رقم ٣.
* والإمام أحمد فى المسند ٤/ ٢٦٤ * وابن أبى شيبة فى كتاب الأدب باب فى الختانة مَنْ فعلها ٩/ ٥٨.
* والبخارى فى الأدب المفرد ص٣٦٥.
* وعبد الرزاق فى مصنفه جزء ١١ ص١٧٤ رقم ٢٠٢٤٣.
* والبيهقى فى الكبرى فى كتاب الأشربة باب السلطان يكره على الاختتان أو الصبى ٨/ ٣٢٣.
* والبيهقى فى شعب الإيمان ٦/ ٣٩٤. * وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٦٥.

فجعل الختان رأس خصال الفطرة، وإنما كانت هذه الخصال من الفطرة لأن الفطرة: هى الحنيفية ملة إبراهيم، وهذه الخصال أمر بها إبرهيم، وهى من الكلمات التى ابتلاه ربه بهن، فقد روى طاووس عن أبيه عن ابن عباس فى هذه الآية قال: «**ابتلاه بالطهارة خمسٌ فى الرأس، وخمسٌ فى الجسد، التى فى الرأسِ: قصُّ الشارب، والمضمضةَ والاستنشاقُ،والسواكُ، وفرقُ الرأسِ، وفى الجسد: تقليمُ الأَظافرِ، وحلقُ العانةِ، والختانُ، ونتفُ الإبطِ، وغسلُ أثرِ الغائطِ والَبول بالماءِ**» [1]

والفطرة فطرتان: فطرة تتعلق بالقلب،وهى معرفة الله ومحبته وإيثاره على ما سواه، وفطرة عملية،وهى هذه الخصال: فالأولى تزكى الروح وتطهر القلب، والثانية: تطهر البدن، وكل منهما تمد الأخرى وتقويها، وكان رأس فطرة البدن: الختان.

قال ابن كثير فى تفسيره: وقريب من حديث ابن عباس ما ثبت فى صحيح مسلم عن عائشة مرفوعاً قالت: قال رسول الله ﷺ: «**عَشْرٌ مِنَ الفطرة: قصُّ الشارب وإعفاءُ اللحية، والسواكُ، واستنشاقُ الماء، وقصُّ الأَظَافرِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ** [2]**، ونتفُ الإبط، وحلقُ العانة، وانْتِقَاصُ** [3] **الماء**» [4] قال مُصْعَبٌ: ونسيتُ العَاشِرَةَ إلا أَنْ تكونَ المضْمَضَةَ.

---

(١) أخرجه البيهقى في السنن الكبرى فى كتاب الأشربة باب السلطان يكره على الاختتان ٨/ ٣٢٥ ـ وذكره ابن كثير فى تفسيره: ١/ ١٦٥.

(٢) أى عقد الأصابع ومفاصلها.

(٣) يعنى الاستنجاء.

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة باب خصال الفطرة ١/ ٢٢٣ رقم ٥٦، والترمذى فى الاستئذان رقم ٢٩٠٦، وأبو داود فى كتاب الطهارة باب السواك من الفطرة ١/ ١٤ رقم٥٣، والنسائى فى كتاب الزينة باب من السنن: الفطرة ٨/ ١٢٦، وابن ماجه فى الطهارة ١/ ١٠٧ رقم ٢٩٣، وأحمد فى المسند ٦/ ١٣٧ وابن أبى شيبة ١/ ١٩٥ وأبو عوانة ١/ ١٩١ والطحاوى فى المشكل ١/ ٢٩٧ والدارقطنى ١/ ٩٥ والبيهقى فى السنن ١/ ٣٦، ٥٢ والبغوى فى شرح السنة ١/ ٣٩٨.

فهذا الشك من مصعب قال عنه القاضى عياض: ولعله الختان المذكور فى حديث خمس من الفطرة وهو أولى[1].

وقال غير واحد من السلف: « **من صلى وحج واختتن فهو حنيف**».

فالحج والختان شعار الحنيفية، وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها فإذا جهلت حال إنسان فى دينه عرف بسمة الختان، وكانت العرب تدعى بأمة الختان ولهذا جاء فى حديث هرقل: «**إنى أجد ملكَ الختان قد ظهرَ. فقال له أصحابه: لا يُهِمَّنَّكَ هذا فإنما تختتن اليهود فاقتلهم، فبينما هم على ذلك، وإذ برسولِ رسول ﷺ قد جاء بكتابه، فأمر به أن يكشف وينظر هل هو مختون؟ فوجد مختوناً، فلما أخبره أن العرب تختتن، قال: هذا ملك الأمة** »[2].

وفى حديث حمزة فى غزوة أحد قال: فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور[3].

ولما كانت واقعة أجنادين بين المسلمين والروم جعل هشام بن العاص يقول: «يامعشر المسلمين إن هؤلاء القلف لا صبر لهم على السيف» فذكرهم بشعار عباد الصليب ودينهم، وجعله مما يوجب إقدام الحنفاء عليهم، وتطهير الأرض منهم.

وقال مجاهد بن جبر فى قوله تعالى: ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ**

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ١٥٠.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى ١/ ٤٤ رقم ٧. وأطرافه فى ٥١، ٢٦٨١، ٢٨٠٤، ٢٩٤١، ٢٩٧٨ وغير موضع مطولاً.

(٣) البخارى فى المغازى باب قتل حمزة رضى الله عنه ٧/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ رقم ٤٠٧٢.

صِبْغَة﴾[1] أى فطرة الله. وقال ابنَ عباس: «دين الله» وكذا قال مجاهد[2] هذا مع ما فى الختان من الطهارة والنظافة والتزين وتحسين الخلقة وتعديل الشهوة، التى إذا أفرطت ألحقت الإنسان بالحيوانات، وإن عدمت بالكلية ألحقته بالجمادات، فالختان يعدلها، ولهذا تجد الأقلف[3] من الرجال والقلفاء من النساء لا يشبع من الجماع.

ولهذا يُذم الرجل ويُشتم ويُعير بأنه ابن القلفاء، وأى زينة أحسن من أخذ ما طال وجاوز الحد من جلد القلفة، وشعر العانة، وشعر الإبط وشعر الشارب، وما طال من الظفر، فإن الشيطان يختبئ تحت هذا كله ويألفه ويقطن فيه.

وقد ذُكر فى حكمة خفض[4] النساء أن السيدة سَارَة زوج نبى الله إبراهيم الخليل، لما وهبت السيدة هاجر لسيدنا إبراهيم أصابها، فحملت منه، فغارت السيدة سارة، فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء، فخاف سيدنا إبراهيم أن تجدع[5] أنفها، وتقطع أذنها فأمرها بثقب أذينها وختانها، وصار ذلك سنة فى النساء بعد[6].

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٣٨.

(٢) راجع تفسير ابن كثير ١/ ١٨٨.

* وتفسير ابن جرير ٣/ ١١٩ رقم ٢١٢٨ ط دار المعارف بمصر.

(٣) الأقلف: هو الذي لم يُختن.

(٤) خفض: أى ختان.

(٥) الجدع: قطع الأنف والأذن والشفة، وهو بالأنف أخص، فإذا أطلق غلب عليه، يقال: رجل أجدع ومجدوع، إذا كان مقطوع الأنف انظر النهاية ١/ ٢٤٦.

(٦) أخرجه البيهقى في شعب الإيمان ٦/ ٣٩٦ رقم ٨٦٤٤.
وذكره ابن قيم الجوزية فى كتابه تحفة المودود ص ١٤٨ـ١٤٩.

رابعاً: أقوال الفقهاء فى الختان

اختلف الفقهاء فى وجوب الختان واستحبابه:

(أ) فمن ذهب إلى وجوب الختان بالنسبة للرجال والنساء: الشافعى ومالك - فى رأى - وأحمد، والشّعْبىّ، ورَبِيعَة، والأوْزَاعى، ويحيى بن سعيد الأنْصَارىّ، وشدد فيه الإمام مالك حتى قال: من لم يختتن لم تجز إمامته، ولم تقبل شهادته. ونقل كثير من الفقهاء عن مالك أنه سنة حتى قال القاضى عياض: الاختتان عند مالك وعامة العلماء سنة، ولكن السنة عندهم يأثم تاركها، فهم يطلقونها على مرتبة بين الفرض وبين الندب، وإلا فقد صرح مالك بأنه لا تقبل شهادة الأقلف، ولاتجوز إمامته.

واحتج الموجبون للختان بوجوه:

الأول منها: قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾**(١) والختان من ملته ودينه. قال الإمام البيهقى: أحسن الحجج أن يحتج بحديث أبى هريرة، وهو حديث اختتان إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة، فقد روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«اختتنَ إبراهيمُ خَليل الرحمنِ وهو ابن ثمانينَ سنة واختتنَ بالقَدومِ»**(٢).

وقد قال الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ: **﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾**(٣).

وصح عن ابن عباس أن الكلمات التى ابتلى الله بهن إبراهيم

---

(١)سورة النحل آية رقم ١٢٣.

(٢)أخرجه البخارى فى كتاب الاستئذان باب الختان بعد الكبر ١١/ ٩١ رقم ٦٢٩٨.

*ومسلم فى كتاب الفضائل باب من فضائل إبراهيم الخليل ٤/ ١٨٣٩ رقم ١٥١.

*وأحمد فى المسند: ٢/ ٣٢٢، ٤١٨، ٤٣٥. والبخارى فى الأدب المفرد ص٣٦١-٣٦٢.

(٣) سورة النحل آية رقم ١٢٣.

فأتمهن: هن خصال الفطرة، ومنهن الختان، والابتلاء غالباً إنما يقع بما يكون واجبا[1].

الثاني: مارواه الإمام أحمد فى مسنده قال: حدثنا عبد الرزاق، عن ابن جُرَيْج قال: أخبرنى عُثَيْم بن كُلَيْب، عن أبيه، عن جده، أنه جاء إلى النبى ﷺ فقال: قد أسلمت، قال: «أَلْقِ[2] **عَنْكَ شَعْرَ الكُفْرِ، يَقُولُ احْلَق**» وأخبرنى آخر معه أن النبى ﷺ قال لآخر: «**ألق عنك شعر الكفر واختتن**» رواه أبو داود عن مخلد بن خالد عن عبد الرزاق به[3].

قال الإمام الشوكانى: استدل بهذا الحديث من قال بوجوب الختان لما فيه من لفظ الأمر به[4].

الثالث: قال حرب فى مسائله عن الزهرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَسْلَمَ فَلْيَخْتَتِنَ وَإِنْ كَانَ كبيراً**»[5]

قالوا: هذا الحديث وإن كان مرسلاً فهو يصلح للاعتضاد.

---

(١) راجع نيل الأوطار ١/ ١١٣-١١٤ والحديث سبق تخريجه.

(٢) ألق عنك: أى احلق رأسك.

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب الطهارة باب فى الرجل يسلم فيؤمر بالغسل ١/ ٩٦ رقم ٣٥٦.
* وأحمد فى المسند ٣/ ٤١٥.
* والبيهقى فى السنن الكبرى فى كتاب الأشربة باب السلطان يكره على الاختتان أو الصبر ٨/ ٣٢٣.

وقال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث فيه انقطاع عُثيم، وأبوه مجهولان. قاله ابن القطان، وقال عبدان: هو عُثيم بن كليب. والصحابى هو كليب وإنما نسب عُثيم فى الإسناد إلى جده. قلت: وهذا وقع مبيناً فى رواية الواقدى. أخرجه ابن مندة فى المعرفة، وقال ابن عدى: الذى أخبر ابن جريج به هو: إبراهيم بن أبى يحيى. راجع تلخيص الحبير ٤/ ٨٢.

(٤) راجع قول الإمام الشوكانى فى كتابه نيل الأوطار جزء (١) صفحة ١١٤.

(٥) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ص٣٦٣ باب الختان للكبير.
والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١١٤ ط عيسى الحلبى.
وذكره الحافظ ابن حجر فى كتابه تلخيص الحبير فى كتاب الختان ٤/ ٨٢ ولم يعلق عليه.

الرابع: ما رواه البَيْهَقِيُّ عن موسى بن إسماعيل بن جعفر بن محمد ابن على بن حسين بن على عن أبائه واحداً بعد واحد عن عَلِيٍّ رضى الله عنه قال: «**وَجَدْنَا فى قائمِ سيْفِ رسول الله ﷺ فى الصَحِيفة: أنَّ الأقلفَ لايُتْرَكُ فى الإسْلامِ حتى يختتنَ ولو بلغَ ثَمَانين سَنَةً**».

قال البيهقيُّ: هذا حديث ينفرد به أهل البيت بهذا الإسناد[1].

الخامس: ماوراه ابن المُنْذِر من حديث أبى بَرْزَةَ عن النبى ﷺ فى الأقلف: «**لا يحج بيت الله حتى يختتن**»، وفى لفظ: سألنا رسول الله ﷺ عن رجل أقلف، يحج بيت الله؟ قال: «**لا، حتى يختتن**». ثم قال: لايثبت لأن إسناده مجهول[2].

السادس: ماوراه قتادة عن رجل عن ابن عباس: «**أنَّه كَرِهَ ذبيحة الأرْغل**» وقال: «**لاتُقبل صلاته، ولاتجوز شهادته**»[3].

ورواه عكرمة عن ابن عباس قال: «**الأقْلف لا تُقْبل صلاته، ولا تُؤْكل ذَبيحته**»، وروى بلفظ: «**لا تحِل له صلاة**»[4].

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى فى كتاب الأشربة باب السلطان يكره على الاختتان ٨/ ٣٢٤

وانظر كنز العمال جزء ١٦ ص٥٣٦ وعزاه للبيهقى.

(٢) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى: فى نفس المصدر السابق، وأخرجه أبو يعلى الموصلى فى المسند ١٣/ ٤٢٧ رقم ٧٤٣٣ وحسنه الحافظ ابن حجر كما فى المسندة. انظر المطالب العالية ٣/ ١٢ رقم ٢٧٤٠، وانظر مجمع الزوائد ٣/ ٢١٧ والمقصد العلى رقم ٥٥٣.

وذكره الحافظ ابن حجر فى تلخيص الحبير فى كتاب الختان ٤/ ٨٢ وقال: رواه ابن المنذر.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه جزء ١١ ص١٧٥ رقم ٢٠٢٤٦.

والبيهقى فى شعب الإيمان ٦/ ٣٩٦ بعد الحديث رقم ٨٦٤٣.

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه جزء١١ص١٧٥رقم٢٠٢٤٨ بلفظ: لاتقبل صلاة رجل لم يختتن.

والبيهقى فى السنن الكبرى: فى كتاب الأشربة باب السلطان يكره على الاختتان٨/ ٣٢٥.

والبيهقى فى شعب الإيمان ٦/ ٣٩٦ رقم ٨٦٤٣.

قال البيهقى: وهذا يدل على أنه يوجبه. وأن قوله: الختان سنة أراد به سنة النبى ﷺ الموجبة.

وروى قتادة عن عِكْرِمة مولى ابن عباس قال: «**لاتُؤْكَل ذَبيحة الأَقْلَف**»، قال: وقيل لعَكرمة: أله حج؟ قال: «**لا**»[1].

السابع: أن الختان من أظهر الشعائر التى يفرق بها بين المسلم والنصرانى، فوجوبه من وجوب الوتر، وزكاة الخيل، ووجوب الوضوء على من احتجم، أو تقيأ، أو رعف ووجوب التيمم إلى المرفقين، ووجوب الضربتين على الأرض وغير ذلك، مما وجوب الختان أظهر من وجوبه وأقوى، حتى إن المسلمين لا يكادون يعدون الأقلف منهم، ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء إلى أن الكبير يجب عليه أن يختن، ولو أدى إلى تلفه.

الثامن: أنه من قطع شرع الله، لاتؤمن سرايته ـ أى جراحته ـ، فكان واجباً كقطع يد السارق.

التاسع: أنه يجوز كشف العورة له لغير ضرورة ولا مداواة، فلو لم يجب لما جاز، لأن الحرام لايلتزم للمحافظة على المسنون.

العاشر: أنه لايستغنى فيه عن ترك واجبين وارتكاب محظورين أحدهما: كشف العورة فى جانب المختون، والنظر إلى عورة الأجنبى فى جانب الخاتن، فلو لم يكن واجباً لما كان قد ترك له واجبان وارتكب محظوران.

الحادى عشر: ما احتج به الخطابى قال: أما الختان فإنه وإن كان مذكوراً فى جملة السنن، فإنه عند كثير من العلماء على الوجوب، وذلك إنه شعار الدين، وبه يعرف المسلم من الكافر، وإذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين صلى عليه ودفن فى مقابر المسلمين.

---

(١) رواية عكرمة هذه الظاهر أنه رواها عن ابن عباس، راجع ماقبله.

الثانى عشر: إن الولى يؤلم فيه الصبى ويعرضه للتلف بالسراية ويخرج من ماله أجرة الخاتن، وثمن الدواء، ولا يضمن سرايته بالتلف، ولو لم يكن واجباً لما جاز ذلك، فإنه لا يجوز له إضاعة ماله وإيلامه الألم البالغ وتعريضه للتلف بفعل ما لا يجب فعله، بل غايته أن يكون مستحباً، وهذا ظاهر بحمد الله.

الثالث عشر: إنه لو لم يكن واجباً لما جاز للخاتن الإقدام عليه، وإن أذن فيه المختون أو وليه، فإنه لا يجوز له الإقدام على قطع عضو لم يأمر الله ورسوله بقطعه، ولا أوجب قطعه، كما لو أذن له فى قطع أذنه أو إصبعه، فإنه لا يجوز له ذلك ولايسقط الإثم عنه بالإذن، وفى سقوط الضمان عنه نزاع.

الرابع عشر: إن الأقلف معرض لفساد طهارته وصلاته، فإن القلفة تستر الذكر كله، يصيبها ولا يمكن الاستجمار لها، فصحة الطهارة والصلاة موقوفة على الختان ولهذا منع كثير من السلف والخلف إمامته وإن كان معذوراً فى نفسه، فإنه بمنزلة من به سلس البول ونحوه فالمقصود من الختان: التحرز من احتباس البول فى القلفة فتفسد الطهارة والصلاة.

الخامس عشر: إن عدم الاختتان شعار عباد الصليب وعباد النار الذين تميزوا به عن الحنفاء، والختان شعار الحنفاء فى الأصل، ولهذا أول من اختتن إمام الحنفاء، وصار الختان شعار الحنيفية، وهو مما توارثه بنو إسماعيل وبنو إسرائيل عن إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلا يجوز موافقة عباد الصليب القلف فى شعار كفرهم وتثليثهم.

* وبهذه الأوجه السابقة التى استدل بها من أوجب الختان على الرجال والنساء نكون قد وقفنا على أقوالهم واستدلالاتهم، فليتحر القارئ الكريم قراءتها بدقة ليقف على أقوالهم، وليعلم أنهم أوجبوا الختان لأدلة نقلية وأخرى عقلية .

(ب) أدلة القائلين بأن الختان سنة وليس بواجب

ذهب الإمام مالك والإمام أبو حنيفة والمرتضى والحسن البصرى وغيرهم أن الختان سنة للرجال والنساء واستدل هؤلاء بأدلة منها:

١ ـ حديث شداد بن أوس عن النبى ﷺ أنه قال: « **الختانُ سُنَّةٌ للرجالِ، مَكْرُمَةٌ للنِّسَاءِ**»[١].

٢ ـ قالوا: قرن الرسول ﷺ الختان بالمسنونات دون الواجبات، وهى الاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط.

٣ ـ روى عن الحسن البصرى قوله: **قد أسلم مع رسول الله ﷺ الناس: الأسود والأبيض والرومى والفارسى والحبشى، فما فتش أحداً منهم**[٢].

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٥/ ٧٥)، والبخارى فى الأدب المفرد (٢/ ٦٤٧).
ـ والطبرانى فى الكبير(٧/ ٣٣٠، ١١/ ٣٣٣، ٣٢٩، ١٢/ ١٨٢) من حديثه، وحديث ابن عباس. وابن أبى شيبة فى كتاب الأدب باب فى الختانة مَنْ فعلها ٩/ ٥٨.
ـ وابن عدى فى الكامل ١/ ٢٧٢.
والبيهقى فى السنن الكبرى فى كتاب الأشربة باب السلطان يكره على الاختتان (٨/ ٣٢٥) من حديث ابن عباس مرفوعاً وضعفه، وقال فى المعرفة: لا يصح رفعه.
ورواية شداد بن أوس التى معنا ضعيفة، فيها الحجاج بن أرطأة وهو مدلس وقد اضطرب فيه قتادة فتارة يرويه عن ابن المليح بن أسامة عن أبيه، وتارة يرويه بزيادة شداد بن أوس بعد والد أبى المليح، وقال ابن عبد البر فى التمهيد: هذا الحديث يدور على حجاج بن أرطأة وليس ممن يحتج به.
وقد ذكر بعض العلماء هذا الحديث فى الأحاديث الموضوعة. انظر تذكرة الموضوعات برقم(١٠٩). والحديث حسنه السيوطى فى الجامع الصغير١/ ٢٥١ وقد نص على أنه لم يذكر فى الجامع حديثاً موضوعاً
وراجع تلخيص الحبير (٤/ ٨٢).
(٢) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ص٣٦٣.

٤ ـ روى الإمام أحمد قال: حدثنا المعتمر، عن سالم بن أبى الدنيا قال: سمعت الحسن يقول: **ياعجباً لهذا الرجل ـ يعنى أمير البصرة ـ لقى أشياخاً من أهل كَسْكَر[١]، فقال: ما دينكم؟ قالوا: مسلمين، فأمر بهم ففتشوا فوجدوا غير مختونين، فختنوا فى هذا الشتاء، وقد بلغنى أن بعضهم مات، وقد أسلم مع النبى ﷺ الرومى والفارسى والحبشى، فما فتش أحداً منهم**[٢].

هذه هى أدلة القائلين بعدم وجوب الختان، ثم ردوا على أدلة الذين قالوا بوجوب الختان مناقشين أدلتهم دليلاً تلو الآخر.

الأول: قالوا: استدلالهم بقوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْحَينَا إليكَ أَنِ اتَّبعْ ملةَ إبراهيمَ حَنيفاً﴾**[٣] فالملة هى الحنيفية وهى التوحيد، ولهذا بينها بقوله حنيفاً وما كان من المشركين وقال سيدنا يوسف الصديق كما جاء في القرآن: **﴿إنى تركتُ ملةَ قومٍ لا يؤمنونَ باللّه وهمْ بالآخرة هم كافرونَ. واتبعتُ ملَةَ آبائِي إبراهيم وإسحاقَ ويعقوبَ ماكانَ لنا أن نُشركَ باللّهِ من شيءٍ﴾**[٤].

وقال تعالى: **﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ فَاتْبِعُوا مِلْةَ إبراهيمَ حَنيفاً وَمَاكَانَ مِن المشركينَ﴾**[٥]، فالملة فى هذا كله هى أصول الإيمان من التوحيد والإنابة إلى الله وإخلاص الدين له، وكان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: «**أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلاَمِ وَكَلمةِ الإِخلاصِ، ودينِ**

---

(١) فى الأدب المفردكَسْكَر ـ بفتح، ثم سكون، وكاف أخرى، وراء معناه: كورة واسعة. وهى قرية من قرى العراق بين الكوفة والبصرة (انظر مراصد الاطلاع ٣/ ١١٦٥).

(٢) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد باب الختان للكبير ص٣٦٣. وذكره ابن قيم الجوزية فى كتابه تحفة المودود ص١٣٢.

(٣) سورة النحل آية رقم (١٢٣).

(٤) سورة يوسف آية رقم (٣٧ـ٣٨).

(٥) سورة آل عمران آية رقم (٩٥).

نَبينا محمد وملةَ أَبينا إبراهيمَ حنيفاً مسلماً وما كانَ من المشركينَ»[1] قالوا ولو دخلتً الأفعالَ فى الملة فمتابعته فيها أن تفعل على الوجه الذى فعله فإن كان فعلها على سبيل الوجوب فاتباعه أن يفعلها كذلك، وإن كان فعلها على وجه الندب فاتباعه أن يفعلها على وجه الندب، فليس معكم حينئذ إلا مجرد فعل إبراهيم، والفعل هل هو على الوجوب أو الندب؟ فيه النزاع المعروف، والأقوى أنه إنما يدل على الندب، إذا لم يكن بيانًا للواجب، فمتى فعلناه على وجه الندب كنا قد اتبعناه.

الثانى: حديث عثيم بن كليب عن أبيه عن جده: «**ألق عنك شعر الكفر واختتن**» فابن جريج قال فيه: أخبرت عن عُثيم بن كُليب قال أبو أحمد بن عَدىّ: هذا الذى قاله ابن جُريج فى هذا الإسناد أخبرت عن عثيم بن كُليب إنما حدثه به إبراهيم بن أبى يحيى، وإبراهيم هذا متفق على ضعفه بين أهل الحديث[2].

الثالث: قالوا: بأن مرسل الزهْرى عن النبى ﷺ: «**من أسلم فليختتن وإن كان كبيراً**» فمراسيل الزُّهْرى عندهم من أضعف المراسيل، ولا تصلح للاحتجاج. قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان، قال: كان يحيى بن سعيد القطان لا يرى إرسال الزُّهرى وقتادة شيئاً، ويقول: هو بمنزلة الريح[3].

الرابع: حديث البيهقى عن موسى بن إسماعيل عن آبائه واحدًا بعد

---

(١) أخرجه الدارمى: فى كتاب الاستئذان باب ما يقول إذا أصبح (٢/ ٣٧٨) رقم (٢٦٨٨).
ـ وأحمد فى المسند: (٣/ ٤٠٦، ٤٠٧). والنسائى فى عمل اليوم والليلة (برقم١، ٢، ٣) وابن السنى فى عمل اليوم والليلة برقم (٣٤) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤/ ٢٠٩).
ـ وذكره السيوطى فى الجامع الصغير: (١/ ١٠٥) وعزاه لأحمد والطبرانى.
(٢) قاله البيهقى في السنن الكبرى: (٨/ ٣٢٤).
(٣) راجع أقوال العلماء على مراسيل الزهرى في تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى (٩/ ٤٤٥) وما بعدها.

واحد.

قالوا: الحديث لايعرف، ولم يروه أهل الحديث، ومخرجه من هذا الوجه وحده،تفرد به موسى بن إسماعيل عن آبائه بهذا السند، فهو نظير أمثاله من الأحاديث التى تفرد بها غير الحفاظ المعروفين بحمل الحديث.

الخامس: حديث أبى بَرَزَةَ مرفوعاً فى الأقْلفَ: «**لا يحج بيت الله حتى يختتن**».

قال ابن المنذر: حدثنا يحيى بن محمد،حدثنا أحمد بن يونس حدثتنا أم الأسود، عن منية عن جدها أبى برزة، فذكر هذا الحديث، قال ابن المنذر: هذا إسناد مجهول لايثبت.

السادس: حديث ابن عباس: «**الأقلف لاتؤكل ذبيحته ولاتقبل له صلاة**».

قالوا: هو قول صحابى تفرد به، قال أحمد: وكان يشدد فيه، وقد خالفه الحسن البصرى[1]، وحماد بن أبى سليمان[2].

السابع: قولهم: إن الختان من أظهر الشعائر التى يفرق بها بين المسلم والنصرانى.

قالوا: إنه من الشعائر صحيح، إذ لا نزاع فيه، ولكن ليس كل ما كان من الشعائر يكون واجباً، فالشعائر منقسمة إلى واجب: كالصلوات الخمس والحج والصيام والوضوء. وإلى مستحب: كالتلبية وسوق الهدى وتقليده، وإلى مختلف فيه ـ كالأذان والعيدين والأضحية والختان. فمن أين لكم أن هذا من قسم الشعائر الواجبة؟

---

(١) الأثر عن الحسن البصرى أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه جزء ١١ ص١٧٥ رقم (٢٠٢٤٩) بلفظ: إذا أسلم الرجل فخشى على نفسه العنت إن اختتن لم يختتن، وتؤكل ذبيحته وتقبل صلاته، وتجوز شهادته.

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه ١١/ ١٧٥ رقم٢٠٢٤٧ سأله معمر عن ذبيحته فقال: لابأس بها.

الثامن: قولهم: إنه من قطع شرع الله لا تؤمن سرايته، فكان واجباً كقطع يد السارق. قالوا: أين الختان من قطع يد اللص فيا بُعْدَ ما بينهما فالختان إكرام المختون وقطع يد السارق عقوبة له ، وأين باب العقوبات من أبواب الطهارات والتنظيف.

التاسع والعاشر: قولهم: يجوز كشف العورة له لغير ضرورة ولا مداواة فكان واجباً.

قالوا: لايلزم من جواز كشف العورة وجوبه، فإنه يجوز كشفها لغير الواجب إجماعاً. كما يكشف لنظر الطبيب ومعالجته، وإن جاز ترك المعالجة، وأيضاً فوجه المرأة عورة فى النظر، يجوز لها كشفه فى المعاملة التى لا تجب، ولتحمل الشهادة حيث لاتجب،وأيضاً فإنهم جوزوا لغاسل الميت حلق عانته، وذلك يستلزم كشف العورة أو لمسها لغير واجب.

الحادى عشر: قول الخطَابِىّ: بالختان يعرف المسلم من الكافر، وإذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين صلى عليه ودفن فى مقابر المسلمين.

قالوا: ليس كذلك، فإن بعض الكفار يختتنون وهم اليهود، فالختان لا يميز بين المسلم والكافر إلا إذا كان فى محل لايختتن فيه إلا المسلمون وحينئذ فيكون بين المسلم والكافر، ولا يلزم من ذلك وجوبه،كما لا يلزم وجوب سائر ما يفرق بين المسلم والكافر.

الثانى عشر: قولهم: إن الولى يؤلم فيه الصبى ويعرضه للتلف بالسراية.... إلخ قالوا: فهذا لا يدل على وجوبه، كما يؤلمه بضرب التأديب لمصلحته ويخرج من ماله أجرة المؤدب والمعلم:وكما يضحى عنه.

الثالث عشر: قولهم: إنه لو لم يكن واجباً لما جاز للخاتن الإقدام عليه وإن أذن فيه المختون ..... إلخ.

قالوا: ينتقض بإقدامه على قطع السعلة، وتفتح غدة فى الجسد، أو خراج فى العنق، والعضو التالف، وقلع السن، وقطع العروق، وشق الجلد للحجامة والتشريط، فيجوز الإقدام على ما يباح للرجل قطعه فضلاً عما يستحب له ويسن، وفيه مصلحة ظاهرة.

الرابع عشر: قولهم: إن الأقلف معرض لفساد طهارته وصلاته.

قالوا: فهذا إنما يلام عليه إذا كان باختياره، وما خرج عن اختياره وقدرته لم يلم عليه، ولم تفسد طهارته، كسلس البول، والرعاف وسلس المذى، فإذا فعل ما يقدر عليه من الاستجمار والاستنجاء لم يؤاخذ بما عجز عنه.

الخامس عشر: قولهم: إن ترك الختان من شعار عباد الصلبان وعباد النيران، فموافقتهم فيه موافقة فى شعائر دينهم.

والجواب عن ذلك أنهم لم يتميزوا عن الحنفاء بمجرد ترك الختان وإنما امتازوا بمجموع ماهم عليه من الدين الباطل، وموافقة المسلم لهم فى ترك الختان لا يستلزم موافقتهم فى شعار دينهم الذين امتازوا به عن الحنفاء أ.هـ.

وبهذا الجواب الخامس عشر يكون القائلون بأن الختان سنة قد ردوا على القائلين بوجوب الختان، ولكلٍ رأيه ينتصر له ويؤيده بأدلته، وما أعظم هؤلاء الفقهاء يسوق كل طرف رأيه ومعه دليله، لم ينتصر طرف لرأيه ولم يجاهر بفساد رأى غيره، وإنما اجتهدوا فيما فيه مجال لذلك ولا يبغون من وراء ذلك إلا الخير.

وما أروع ماقام به الموجبون للختان إذ قاموا أيضاً بالرد على من قالوا بأن الختان سنة، وإليك أيها القارئ الكريم أقوالهم وأدلتهم:

(جـ) - رد الموجبين للختان
على من قالوا : بأن الختان سنة

قال الموجبون : الختان علم الحنفية وشعار الإسلام، ورأس الفطرة وعنوان الملة، وإذا كان النبى ﷺ قد قال : «**مَنْ لَمْ يَأْخُذ من شَاربهُ فليسَ منا**»[1] فكيف منه من عطل الختان، ورضى شعار القلف عباد الصلبانَ ومن أظهر ما يفرق بين عباد الصلبان وعباد الرحمن : الختان، وعليه استمر عمل الحنفاء من عهد إمامهم إبراهيم إلى عهد خاتم الأنبياء فبعث بتكميل الحنيفية وتقديرها لا بتحويلها وتغييرها.

ولما أمر الله به خليله وعلم أن أمره مُطاع، ولا يجوز أن يُعطل ويُضاع، بادر إلى امتثال ما أمر به الحى القيوم، وختن نفسه بالقدوم مبادرة إلى الامتثال وطاعة لذى العزة والجلال، وجعله فطرة باقية فى عَقِبِهِ إلى أن يرث الأرض ومن عليها، ولذلك دعا جميع الأنبياء من ذريته أممهم إليها، حتى عبد الله ورسوله وكلمته ابن العذراء البتول، فإنه اختتن متابعة لإبراهيم الخليل، والنصارى تقر بذلك، وتعترف أنه من أحكام الإنجيل، ﴿**ولا اتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل**﴾[2].

حتى لقد أذن عالم أهل بيت النبوة عبد الله بن عباس أذانًا سمعه الخاص والعام : أن من لم يختتن فلا صلاة له ولا تؤكل ذبيحته، فأخرجه من جملة أهل الإسلام، ومثل هذا لا يقال لتارك أمر هو بين تركه وفعله

---

(١) أخرجه الترمذى : فى كتاب الأدب باب ما جاء فى قص الشارب (٥/ ٨٧) رقم (٢٧٦١) وقال : هذا حديث حسن صحيح، والنسائى ١/ ١٥، ٨/ ١٢٩، وأحمد فى المسند : (٢/ ١١٨، ٤/ ٢٦٤، ٦/ ١٣٨)، والطبرانى فى الكبير٥/ ٢٠٨ وفى الصغير ١/ ١٠٠، والطحاوى فى المشكل ٢/ ١٣٨، والبغوى فى شرح السنة ١٢/ ١٠٨.

(٢) سورة المائدة : ٧٧.

بالخيار، وإنما يقال لما علم وجوبه علماً يقرب من الاضطرار، ويكفى فى وجوبه أنه رأس خصال الحنيفية التى فطر الله عباده عليها، ودعت جميع الرسل إليها، فتاركه خارج عن الفطرة التى بعث الله رسله بتكميلها ومن ضيع فى تعطيلها مؤخراً لما يستحق التقديم راغب عن ملة أبيه إبراهيم، قال تعالى: ﴿**ومن يرغبُ عن ملة إبراهيمَ إلاَ مَن سَفهَ نَفْسَهَ ولَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فى الدُنْيَا وإنهُ فى الآخرةَ لمنَ الصالحيَنَ**﴾[1]. فكما أن الإسلام رأس الملة الحنيفية وقوامها فالاستسلام لأمره كمالها وتمامها.

وأما استدلالهم بحديث: «**الختانُ سنةٌ للرجال، مَكْرُمَةٌ للنِّسَاء**»[2] فهذا حديث يروى عن ابن عباس بإسناد ضعيف، والمحفوظ عنه أنه موقوف عليه، ويروى أيضاً عن الحجاج بن أرطأة، وهو ممن لا يحتج به عن أبى المليح بن أسامة عن أبيه عنه، وعن مكحول عن أبى أيوب عن النبى ﷺ فذكره. ذكر ذلك كله البيهقى ثم ساق عن ابن عباس: أنه لا تؤكل ذبيحة الأقلف، ولا تقبل صلاته، ولا تجوز شهادته، ثم قال: وهذا يدل على أنه كان يوجبه، وأن قوله: (الختان سنة) أراد به سنة النبى ﷺ وأن رسول الله ﷺ سنه وأمر به فيكون واجباً، والسنة هى الطريقة يقال سننت له كذا: أى شرعت، فقوله: (الختان سنة للرجال) أى مشروع لهم، لا أنه ندب غير واجب، فالسنة هى الطريقة المتبعة وجوباً واستحباباً لقوله ﷺ: « **مَنَ رَغبَ عَنْ سُنَتى فَلَيْس منى**»[3] وتخصيص السنة بما يجوز تركه اصطلاح حادث، وإلا فالسنة ما سنه رسول الله ﷺ لأمته من واجب ومستحب، فالسنة هى الطريقة وهى الشريعة والمنهاج والسبيل.

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٣٠). (٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح باب الترغيب فى النكاح (٩/ ٦٠٥) رقم (٥٠٦٣).
ومسلم فى كتاب النكاح باب استحباب النكاح عمن تاق نفسه إليه(٢/ ١٠٢٠)رقم(٥٠).
* والنسائى فى كتاب النكاح باب النهى عن التبتل (٦/ ٦٠).
* والدارمى فى كتاب النكاح باب النهى عن التبتل (٢/ ١٧٩) رقم (٢١٦٩).
* وأحمد فى المسند: (٢/ ١٥٨، ٤/ ٢٥٩، ٢٨٥، ٥/ ٤٠٩).

* وأما قولهم: إن رسول الله ﷺ قرنه بالمسنونات، فدلالة الاقتران لا يقوى على معارضة أدلة الوجوب، ثم إن الخصال المذكورة فى الحديث منها ما هو مستحب كالسواك، وأما تقليم الأظفار فإن الظفر إذا طال جداً بحيث يجتمع تحته الوسخ وجب تقليمه لمصلحة الطهارة، وأما قص الشارب فالدليل يقتضى وجوبه إذا طال وهو الذي يتعين القول به لأمر رسول الله ﷺ به لقوله: «**مَنْ لَمْ يَأْخذ من شَاربهُ فَليسَ منَا**»[1].

* وأما قول الحسن البصرى: قد أسلم مع رسول الله ﷺ الناس فما فتش أحداً منهم، فجوابه أنهم استغنوا عن التفتيش بما كانوا عليه من الختان، فإن العرب قاطبة كلهم كانوا يختتنون، واليهود قاطبة تختتن ولم يبق إلا النصارى وهم فرقتان، فرقة تختتن، وفرقة لا تختتن، وقد علم كل من دخل فى الإسلام منهم ومن غيرهم أن شعار الإسلام: الختان فكانوا يبادرون إليه بعد الإسلام[2] كما يبادرون إلى الغسل، ومن كان منهم كبيراً فشق عليه، ويخاف التلف سقط عنه، وقد سئل الإمام أحمد عن ذبيحة الأقلف، وذكر له حديث ابن عباس: لا تؤكل، فقال: ذاك عندى، إذا ولد بين أبوين مسلمين فكبر ولم يختتن، وأما الكبير إذا أسلم وخاف على نفسه الختان فله عندى رخصة.

* **وأما قولهم**: إن الملة هى التوحيد، فالملة هى الدين، وهى مجموع أقوال وأفعال واعتقاد، ودخول الأعمال فى الملة كدخول الإيمان: هى الفطرة وهى الدين، ومحال أن يأمر الله سبحانه باتباع إبراهيم فى مجرد الكلمة دون الأعمال، وخصال الفطرة وإنما أمر بمتابعته فى توحيده وأقواله وأفعاله، وهو عليه السلام اختتن امتثالاً لأمر ربه الذى أمره به وابتلاه به فوفاه كما أمر، فإن لم نفعل كما فعل ـ لم نكن متبعين له.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ورد فى الأدب المفرد للبخارى: أن أم المهاجر قالت: سُبيت في جوارى من الروم فعرض علينا عثمان الإسلام، فلم يُسلم منا غيرى وغير أخرى، فقال عثمان: اذهبوا فاختتنوهما وطهروهما.

راجع الأدب المفرد ص٣٦٢. والحدث سيأتى بإذن الله أثناء الحديث على ختان البنات.

* **وأما حكمهم**: على حديث عُثَيْم بن كُلَيب عن أبيه عن جده بأنه من رواية إبراهيم بن أبى يحيى، فالشافعى كان حسن الظن به، وغيره يضعفه، فحديثه يصلح للاعتضاد بحديث يتقوى به، وإن لم يحتج به بمفرده.

* **وقولهم**: بأن مراسيل الزهرى من أضعف المراسيل . . . فإنه لا يحتج بها وحدها، فإن هذه المرفوعات والموقوفات والمراسيل يشد بعضها بعضاً. قالوا: وكذلك الكلام فى حديث موسى بن إسماعيل وشبهه.

* **وأما قولهم**: إن ابن عباس تفرد بقوله فى الأقلف: «لاتؤكل ذبيحته ولا صلاة له» فهذا قول صحابى، وقد احتج الأئمة الأربعة وغيرهم بأقوال الصحابة، وصرحوا بأنها حجة، وبالغ الشافعى فى ذلك وجعل مخالفتها بدعة، كيف ولم يحفظ عن صحابى خلاف ابن عباس ومثل هذا التشديد والتغليظ لا يقوله عالم مثل ابن عباس فى ترك مندوب يخير الرجل بين فعله وتركه.

* **وأما قولهم**: إن الشعائر تنقسم إلى مستحب وواجب، فالأمر كذلك، ولكن مثل هذا الشعار العظيم الفارق بين عباد الصليب وعباد الرحمن الذى لا تتم الطهارة إلا به، وتركه شعار عباد الصلبان لا يكون إلا من أعظم الواجبات.

* **وأما قولهم**: أين باب العقوبات من باب الختان، فنحن لم نجعل ذلك أصلاً فى وجوب الختان،بل اعتبرنا وجوب أحدهما بوجوب الآخر، فإن أعضاء المسلم وظهره ودمه حرام إلا من حد أو حق وكلاهما يتعين إقامته، ولا يجوز تعطيله، وأما كشف العورة له فلو لم تكن مصلحة أرجح من مفسدة كشفها والنظر إليها ولمسها لم يجز ارتكاب ثلاثة مفاسد عظيمة لأمر مندوب يجوز فعله وتركه، وأما المداواة فتلك من تمام الحياة وأسبابها التى لابد للبينة منها، فلو كان الختان من باب المندوبات لكان بمنزلة كشفها لما لا تدعو الحاجة إليه وهذا لايجوز.

* **وأما قولهم**: إن الولى يخرج من مال الصبى أجرة المعلم والمؤدب

فلا ريب أن تعليمه وتأديبه حق واجب على الولى، فما أخرج ماله إلا فيما لابد له من صلاحه فى دنياه وآخرته منه، فلو كان الختان مندوباً محضاً لكان إخراجه بمنزلة صدقة التطوع عنده، وبذله لمن يحج عنه حجة التطوع ونحو ذلك.

وأما الأضحية عنه فهى مختلف فى وجوبها، فمن أوجبها لم يخرج ماله إلا فى واجب، ومن رآها سنة قال ما يحصل بها من جبر قلبه والإحسان إليه وتفريجه أعظم من بقاء ثمنها فى ملكه. أ. هـ .

وبذلك انتهى رد الموجبين للختان على آراء وأدلة القائلين بأن الختان سنة، رأى برأى وحجه بحجه، لاتعصب لمذهب،ولا تعالى فى العلم، بل لكل رأيه ومذهبه يدافع عنه بالدليل، ومن قوى دليله وحجته واستدلاله كان حقاً علينا أن نتبعه ولا نحيد عنه، وهذا هو الذى أريد الوصول إليه وهو أن أدلة الموجبين للختان قوية واستدلالتهم سليمة، فساقوا أدلتهم النقلية والعقلية ثم ردوا على أدلة واستدلالات القائلين بأن الختان سنة.

وهنا يجب أن تكون لنا وقفة نتعلم منها كيف كان السلف الصالح رضوان الله عليهم فى علمهم وورعهم وتقواهم ومجادلتهم لبعض وانتصارهم لآرائهم، والذى ينبغى التنبيه إليه أنه يجب علينا الاقتداء بهؤلاء، وأن يكون تحاورنا وتجادلنا من منطلق التوصل إلى الصواب والحق لا التعصب والهوى.

وقبل أن أنهى هذا المبحث أحب أن أوضح كلمة وهى أن الإمام أبا حنيفة وإن اعتبر الختان بالنسبة للرجال سنة، وللنساء مكرمة، وساق أدلته التى ذكرناها آنفاً للانتصار لرأيه، ذهب إلى أنه لو اجتمع أهل بلد على ترك الختان قاتلهم الإمام لأن الختان من شعائر الإسلام وخصائصه[1].

---

(١) انظر الاختيار شرح المختار للموصلى (٢/ ١٢١) فى كتاب الكراهية.

خامساً
فى بيان القدر الذى يؤخذ فى الختان

* **قال أبو البركات** فى كتاب الغاية: ويؤخذ فى ختان الرجل جلدة الحشفة، وإن اقتصر على أخذ أكثرها جاز، ويستحب لخافضة الجارية أن لاتحيف.

* **وقال الخلال** فى جامعه: ذكر مايقطع فى الختانة سئل أحمد: كم يقطع فى الختانة؟ قال: حتى تبدو الحشفة.

* وسأل الميمونى أحمد عن خَتَّانٍ ختن صبياً فلم يَسْتَقْصِ، فقال: إذا كان الختان قد جاز نصف الحشفة إلَى فوق فلا يعتد به، لأن الحشفة تغلظ، وكلما غلظت هى ارتفعت الختانة، ثم قال لى: إذا كانت دون النصف أخاف، قلت له: فإن الإعادة عليه شديدة جداً، ولعله قد يخاف عليه الإعادة، قال: إيش يخاف عليه ورأيت سهولة الإعادة، إذا كانت الختانة فى أقل من نصف الحشفة إلى أسفل، وسمعته يقول: هذا شيء لابد أن تيسر فيه الختانة.

* **وقال ابن الصباغ** فى الشامل: الواجب على الرجل أن يقطع الجلدة التى على الحشفة حتى تنكشف جميعها، وأما المرأة فلها عذرتان: إحداهما بكارتها، والأخرى هى التى يجب قطعها وهى كعرف الديك فى أعلى الفرج بين الشفرين، وإذا قطعت يبقى أصلها كالنواة.

وقال الجوينى فى كتابه (النهاية): المستحق فى الرجال قطع القلفة وهى الجلدة التى تغشى الحشفة، والغرض أن تبرز، ولو فرض مقدار منه على الكمرة لا تنبسط على سطح الحشفة، فيجب قطعه حتى لاتبقى الجلدة متدلية.

قال: والقدر المستحق من النساء ما جاء فى الحديث: «**أَشمِي ولا**

تُنْهِكِي» أى اتركى الموضع أشم، والأشم: المرتفع.

وقال الماوردى: والسنة أن تستوعب القلفة تغشى الحشفة بالقطع من أصلها، وأقل ما يجزى فيه إلا أن يتغشى بها شىء من الحشفة، وأما خفض المرأة فهو قطع جلدة فى الفرج فوق مدخل الذكر ومخرج البول على أصل كالنواة، ويؤخذ منه الجلدة المستعلية دون أصلها، وقد بان بهذا أن القطع فى الختان ثلاثة أقسام:

أ - سنة

ب - وواجب.

جـ - وغير مجزى. على ما تقدم[1].

والله أعلم

(١) بتصرف من تحفة المودود ص١٥٤، ١٥٥.

سادساً

فى أحكام الأقلف من صلاته وطهارته وذبيحته وشهادته وغير ذلك

سبق أن بينت فى رواية عكرمة عن ابن عباس قال: « **الأقلف لاتقبل له صلاة ولاتؤكل ذبيحته**»[1].

وقال وكيع : إذا بلغ الأقلف فلم يختتن لم تجز شهادته.

وروى قتادة عن عكرمة قال:« **لاتؤكل ذبيحة الأقلف» قال: قيل لعكرمة: إن حج؟ قال: لا** [2].

وقال أحمد: لا تؤكل ذبيحته، ولا صلاة له ولا حج،حتى يتطهر هو من تمام الإسلام.

وقال حنبل: قال أبو عبد الله: الأقلف لا يذبح ولا تؤكل ذبيحته ولا صلاة له.

وقال إسحاق بن منصور : غير ذلك عن أبى عبد الله قال: قلت لأبى عبد الله: ذبيحة الأقلف؟ قال: لا بأس بها.

وقال أبو طالب: سألت أبا عبد الله عن ذبيحة الأقلف: فقال: ابن عباس شدد فى ذبيحته جداً.

وقال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله عن ذبيحة الأقلف؟ فقال يروى عن إبراهيم والحسن[3] وغيرهما: أنهم كانوا لايرون بها بأساً إلا شيئاً يروى عن جابر بن زيد عن ابن عباس أنه كرهه.

---

(١) سبق تخريجه . (٢) سبق تخريجه .

(٣) روى عبد الرزاق فى مصنفه فى كتاب الختان جزء ١١ صفحة (١٧٥) رقم الأثر (٢٠٢٤٩) بإسناده عن الحسن البصرى قال: إذا أسلم الرجل فخشى على نفسه العنت إن اختتن لم يختتن وتؤكل ذبيحته، وتقبل صلاته، وتجوز شهادته.

وذكره البخارى عنهما تعليقاً فى كتاب الذبائح (٩/ ٥٥٢).

قال أبو عبد الله: وهذا يشتد على الناس، فلو أن رجلاً أسلم وهو كبير فخافوا عليه الختان، أفلا تؤكل ذبيحته؟

وذكر الخلال عن أبى السمح أحمد بن عبدالله بن ثابت قال: سمعت أحمد بن حنبل: سئل عن ذبيحة الأقلف، وذكر له حديث ابن عباس فقال أحمد: ذاك عندى إذا كان الرجل يولد بين أبوين مسلمين فكيف لايختتن، فأما الكبير إذا أسلم وخاف على نفسه الختان فله عندى رخصة.

ثم ذكر قصة الحسن مع أمير البصرة الذى ختن الرجال فى الشتاء، فمات بعضهم، قال: فكان أحمد يقول: «إذا أسلم الكبير وخاف على نفسه فله عندى عذر»[1]. ا.هـ.

والله أعلم

(١) بتصرف من تحفة المودود ص١٥٨، ١٥٩.

سابعاً

فى المسقطات لوجوب الختان

يسقط الختان لعجز أو لعذر كسائر الواجبات وإليك أيها القارئ الكريم بعض الأمور التى تُسْقِط الختان:

أولها: أن يولد الولد ولا قلفة له فهذا بالطبع يستغنى به عن الختان إذا لم يخلق له ما يجب ختانه.

ورأى البعض استحباب إمرار الموس على موضع الختان لأنه ما يقدر عليه من المأمور به، وقد قال النبى ﷺ : **«إذا أَمَرْتُكُمْ بأمرٍ فَأْتُوا منهُ ما اسْتَطَعْتُمْ»**[1].

الثانية: ضعف المولود عن احتماله لمرض، أو علة أخرى بحيث يخاف عليه من التلف أو الموت، ويستمر به الضعف كذلك، فهذا يعذر فى تركه إذ غايته أنه واجب فيسقط بالعجز عنه كسائر الواجبات.

قلت: إن كان المرض أو العلة غير مستمرة أو عارضة وجب بعد زوالها، أما إذا كانت العلة دائمة مستمرة فالصواب تركه.

الثالثة: أن يسلم الرجل كبيراً ويخاف على نفسه منه، فهذا يسقط عنه لقول الحسن البصرى: إنه قد أسلم فى زمن النبى ﷺ : الرومى والحبشى والفارسى فما فتش أحداً منهم، وخالف سحنون بن سعيد الجمهور فلم يسقطه عن الكبير الخائف على نفسه، وهو قول فى مذهب

---

(١) أخرجه البخارى: في كتاب الاعتصام باب قول النبى ﷺ «بعثت بجوامع الكلم» ١٣/ ٢٦٤ رقم ٧٢٨٨.

- ومسلم: فى كتاب الفضائل باب توقيره ﷺ .... ٤/ ١٨٣٠ رقم ١٣٠.
- والنسائى: فى كتاب الحج باب وجوب الحج ٥/ ١١٠.
- وابن ماجه: فى المقدمة باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ١/ ٣ رقم٢.

أحمد حكاه ابن تميم وغيره.

الرابعة: الموت فلا يجب ختان الميت باتفاق الأمة، وهل يستحب؟ فجمهور أهل العلم على أنه لا يستحب، وهو قول الأئمة الأربعة، وذكر بعض الأئمة المتأخرين أنه مستحب، وقاسه على أخذ شاربه وحلق عانته ونتف إبطه، وهذا مخالف لما عليه عمل الأمة، وهو قياس فاسد، فإن أخذ الشارب، وتقليم الظفر، وحلق العانة من تمام طهارته وإزالة وسخه ودرنه. مع أنه رأى ضعيف.

وأما الختان: وهو قطع عضو من أعضائه، والمعنى الذى لأجله شرع فى الحياة، قد زال بالموت فلا مصلحة فى ختانه، وقد أخبر النبى عليه الصلاة والسلام: «**أنه يبعث يوم القيامة بغُرلته غَير مَختون**»[1]. فما الفائدة أن يقطع منه عند الموت عضو يبعث به يومَ القيامة، وهو من تمام خلقه فى النشأة الأخرى أ.هـ.

والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخارى: فى كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلاً**﴾ ٦/ ٤٤٥ رقم ٣٣٤٩.

ـ ومسلم: فى كتاب الجنة وصفة نعيمها باب فناء الدنيا ٤/ ٢١٩٤ رقم ٥٦، ٥٧، ٥٨.

ـ والترمذى: في كتاب صفة القيامة باب ما جاء فى شأن المحشر ٤/ ٥٣٢ رقم٢٤٢٣.

ـ وأحمد فى المسند: ١/ ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٥٣، ٣/ ٤٩٥، ٦/ ٥٣.

ثامناً

فى الحكمة التى لأجلها يعاد بنو آدم غرلاً
ـ غير مختونين ـ

لما ذكر الله تعالى فى كتابه أنه يعيد الخلق كما بدأهم أول مرة، كان من صدق وعده أن يعيده على الحالة التى بدأ عليها من تمام أعضائه وكمالها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى السَّمَآءَ كَطَىِّ السِّجِلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فاعلينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[2]، وأيضًا فإن الختان إنما شرع فى الدنيا لتكميل الطهارة والتنزه من البول، وأهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون، فليس هناك نجاسة تصيب الغرلة، فيحتاج إلى التحرز منها والقلفة لاتمنع لذة الجماع ولا تعوقه.

هذا إن قدر استمرارهم على تلك الحالة التى بعثوا عليها، وإلا فلا يلزم من كونهم يبعثون كذلك أن يستمروا على تلك الحالة التى بعثوا عليها، فإنهم يبعثونَ حفاةً عراةً بُهْماً، ثم يكسون ويمد خلقهم ويزاد فيه بعد ذلك، ويزاد فى خلق الجنة، وأهل النار، وإلا فوقت قيامهم من القبور يكونون على صورتهم التى كانوا عليها فى الدنيا، وعلى صفاتهم وهيئاتهم وأحوالهم، فيبعث كل عبد على ما مات عليه، ثم ينشئهم الله سبحانه كما يشاء.

وهل تبقى تلك الغرلة التى كملت خلقهم فى القبور أو تزول؟ يمكن هذا وهذا، ولا يعلم بخبر يجب المصير إليه[3].

والله أعلم.

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم (١٠٤).

(٢) سورة الأعراف آية رقم (٢٩).

(٣) راجع تحفة المودود ص (١٦٣ـ١٦٤).

تاسعاً

فى ختان النبى ﷺ

اختلف العلماء فى ختان الحبيب المصطفى ﷺ ، فمن قائل: بأنه ولد مختوناً، ومن قائل: بأن جبريل عليه السلام ختنه حين شق صدره، ومن قائل: بأن جده عبد المطلب ختنه على عادة العرب فى ختان أولادهم.

وإليك أخى القارئ أدلة هؤلاء وحججهم :

الأول: من قال بأن النبى ﷺ ولد مختوناً احتج بأحاديث منها :

(أ) مارواه ابن عبد البر قال: وقد روى أن النبى ﷺ ولد مختوناً، من حديث ابن عباس، عن أبيه العباس، قال: « **ولد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً ـ يعنى مقطوع السرة ـ فأعجب ذلك جده عبد المطلب، وقال: ليكونن لابنى هذا شأن عظيم، فكان له شأن**» [1].

قال ابن عبد البر: ليس إسناد حديث العباس هذا بالقائم. قال: وقد روى موقوفاً عن ابن عمر ولا يثبت أيضاً: فيه محمد بن سليمان الباغندى وقد ضعفوه.

(ب) حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «**مِنْ كَرَامَتِى على ربى أَنِى وُلِدتُ مَخْتُوناً، ولَمْ يَرَنِى أَحَد**»[2]. قال الخطيب: تفرد به

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة باب بيان رضاعه وفصاله وأنه ولد مختوناً مسروراً ص١١٠ـ١١١.

وذكره ابن القيم فى كتابه تحفة المودود ص١٥٨.

وذكره الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية ٢/ ٢٦٥ وقال: فى صحته نظر.

(٢) أخرجه الطبرانى فى المعجم الصغير ٢/ ٥٩، وأبو نعيم فى دلائل النبوة ص١١٠.

والخطيب فى التاريخ ١/ ٣٢٩. =

سفيان بن محمد المصيص وهو منكر الحديث.

قلت: لم ينفرد به سفيان، بل تابعه الحسن بن عرفة، عن هشيم، عن يونس: عن الحسن: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ كَرَامتِي عَلَى رَبِي عَزَّ وَجَلَّ أَنِي وُلِدتُ مَخْتُوناً لَمْ يَر أَحَد سَوْءَتِي».

وقال ابن الجوزى: لا أشك؛ أنه ﷺ ولد مختوناً، غير أن هذا الحديث لايصح. قلت: بل صححه جماعة انظر تخريجه فى الهامش وهذا الرأى هو أصح الآراء فى ختان الرسول ﷺ.

الثانى: من قال: بأن جبريل عليه السلام ختن النبى ﷺ حين شق صدره، استدل بحديث أبى بكرة: «أن جبريل ختن النبى ﷺ حين طهر قلبه»[1].

= وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ٢/ ٢٦٥.
والسيوطى فى الخصائص ١/ ١٣٢.
والهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٤ وعزاه للطبرانى فى الصغير والأوسط وقال: فيه سفيان بن الفزارى وهو متهم به.
والذهبى فى الميزان ٢/ ١٧٢.
وابن حجر فى اللسان ٦/ ١٧٥..
وذكره ابن الجوزى فى العلل المتناهية ١/ ١٧١ رقم ٢٦٤ وقال: تفرد به سفيان، قال ابن عدى: كان يسرق الأحاديث، ويسوى الأحاديث، وفى حديثه موضوعات، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به.
قال ابن الجوزى: ولا أشك أنه ﷺ ولد مختوناً غير أن هذا الحديث لايصح.
ورد الحافظ ابن القيم فى الهدى١/ ١٨ على ابن الجوزى فى ذكره هذا الحديث فى الموضوعات وقال: وهذا لايصح أى منه.
وهذا الحديث له متابعات، وصححه المقدسى، وحسنه مغلطاى، كما ذكره الزرقانى فى شرح المواهب ٥/ ٢٤٤ قال: وهذا الإسناد أمثل ماروى فى الباب، وقد روى من أوجه أخرى حتى زعم بعضهم أنه متواتر وفى ذلك نظر.

(١) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل باب بيان رضاعه وفصاله . . . ص١١١.
ـ وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ٢/ ٢٦٥ ط . دار الفكر، وقال: هذا غريب جداً. =

وهذا الحديث مع كونه موقوفاً على أبى بكرة لايصح إسناده، قال الخطيب: ليس هذا الإسناد مما يحتج به. وأما حديث شق الملك قلب النبى ﷺ فقد روى من وجوه متعددة مرفوعاً إلى النبى ﷺ، وليس فى شىء منها أن جبريل ختنه إلا فى هذا الحديث فهو شاذ وغريب.

الثالث: من قال بأن جد النبى ﷺ ختنه فى اليوم السابع، استدل بحديث ابن عباس: «أن عبد المطلب ختن النبى ﷺ يوم سابعه، وجعل له مأدبة وسماه محمداً»(١).

قال يحيى بن أيوب: ما وجدنا هذا الحديث عند أحد إلا عند ابن أبى السرى ا.هـ.

قلت: ابن أبى السرى هو محمد بن المتوكل بن أبى السرى العسقلانى لين الحديث وله مناكير كثير الغلط(٢).

كما أن فى إسناد الحديث عطاء الخراسانى وهو مشهور بالضعف، والوليد بن مسلم مشهور بالتدليس.

والله أعلم

= ـ وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد: ٨/ ٢٢٤ وعزاه للطبرانى فى الأوسط وقال: فيه عبد الرحمن بن عيينة، وسلمة بن محارب ولم أعرفهما، وبقية رواته ثقات.

(١) ذكره ابن القيم فى تحفة المودود ص١٦٣.

وذكره الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية ٢/ ٢٦٥ ولم يتكلم عليه.

(٢) أورد ابن عبد البر هذا الحديث عنه فى الاستيعاب ١/ ٥١.

عاشراً

فى ذكر ختان خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام

كما هو ثابت فى كتب السنة أن نبى الله إبراهيم عليه السلام أمره ربه بالاختتان وقد بلغ من الكبر عتياً، ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانينَ سنةً بالقَدومِ**»[1] قال البخارى القدوم مخففه وهو اسم موضع.

وَسُئِلَ أحمد بن حنبل: هل خَتَنَ إبراهيم عليه السلام نفسه بقدوم؟ قال: بطرف القدوم، وسُئل أيضاً عن قوله: (اختتن بالقدوم) قال: هو موضع، وقال غيره: هو اسم للآلة، وقالت طائفة: من رواه مخففاً فهو اسم الموضع، ومن رواه مثقلاً فهو اسم الآلة. قال ابن القيم فى ختان خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام: وقد رويت قصة ختان الخليل إبراهيم بألفاظ يوهم بعضها التعارض، ولاتعارض فيها بحمد الله، ونحن نذكرها:

ففى صحيح البخارى من حديث أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «**اختتن إبراهيم وهو ابن ثَمانينَ سَنَةً بالقَدُومِ**» وفى لفظ: «**اختتن إبراهيم بعد ثمانين سنة بالقدوم**» مخففه.

وفى حديث يحيى بن سعيد، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبى هريرة مثله، قال يحيى: والقدوم: الفأس، وقال النضر بن شميل: قطعه بالقدوم فقيل له: يقولون قدوم: قرية بالشام فلم يعرفه وثبت على قوله، قال الجوهرى: القدوم الذى ينحت به مخففاً قاله ابن السكيت، ولاتقل: قدوم بالتشديد قال: والقدوم أيضاً اسم موضع ـ مخفف ـ والصحيح أن القدوم فى الحديث الآلة مما رواه البيهقى فى السنن الكبرى بسنده عن

---

(١) سبق تخريجه.

موسى بن على قال: سمعت أبى يقول: « إن إبراهيم خليل الرحمن أمر أن يختتن وهو ابن ثمانين سنة، فقام فاختتن بقدوم، فاشتد عليه الوجع فدعا ربه فأوحى الله إليه إنك عجلت قبل أن نأمرك بالآلة، قال: يارب كرهت أن أؤخر أمرك، قال: وختن إسماعيل وهو ابن ثلاث عشر سنة وختن إسحاق وهو ابن سبعة أيام»[1].

وقال حنبل: حدثنا عاصم حدثنا أبو أويس، قال: حدثنى أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «**إبراهيم أول من اختتن وهو ابن مائة وعشرينَ سنةً، اختتنَ بالقدومِ، ثم عاشَ بعده ثمانينَ سنةً**»[2].

ولكن هذا حديث معلول، رواه يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة، فهو من رواية أبى أويس، وقد روى له مسلم فى صحيحه محتجاً به، وروى له أهل السنن الأربعة، وقال أبو داود: هو صالح، واختلفت الرواية فيه عن ابن معن، فروى عنه الدورى فى حديث ضعيف، وروى عنه توثيقه، ولكن المغيرة بن عبدالرحمن وشعيب ابن أبى حمزة وغيرهما رووا عن أبى الزناد خلاف ما رواه أبو أويس وهو ما رواه صاحبا الصحيح: «أنه اختتن وهو ابن ثمانين سنة» وهذا أولى بالصواب، وهو يدل على ضعف المرفوع والموقوف.

وقد أجاب الكمال بن طلحة فى جزء له فى الختان بأن قال: الروايتان

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى: فى كتاب الأشربة ٨/ ٣٣٥.

(٢) أخرجه ابن حبان كما جاء فى الإحسان بلفظ: «**إن إبراهيم اختتن وهو ابن مائة وعشرين سنة**» وأخرجه من رواية عبدة بن سليمان عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عن أبى هريرة مرفوعاً.

- والبخارى فى الأدب المفرد: ٣٦٣ برواية حماد بن زيد عن يحيى به نحوه.
- وابن أبى شيبة فى كتاب الأدب باب فى الختانة من فعلها ٩/ ٥٨.
- والبيهقى فى شعب الإيمان ٦/ ٣٩٥ رقم٨٦٣٩.
- وذكره السيوطى فى الدر المنثور: ١/ ١١٥ وعزاه لابن أبى شيبة.

صحيحتان ووجه الجمع بين الحديثين يعرف من مدة حياة الخليل، فإنه عاش مائتى سنة منها ثمانون غير مختون، ومنها مائة وعشرون سنة مختوناً، فقوله: اختتن لثمانين سنة مضت من عمره، والحديث الثانى: اختتن لمائة وعشرين سنة بقيت من عمره، وفى الجمع نظراً لايخفى فإنه قال: أول من اختتن إبراهيم وهو ابن مائة وعشرين سنة، ولم يقل اختتن لمائة وعشرين سنة.

وقد ذكرنا رواية يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة تخالف هذا، على أن الوليد بن مسلم قد قال: أخبرنى الأوزاعى عن يحيى بن سعيد، عن ابن المسيب، عن أبى هريرة يرفعه، قال: «اختتن إبراهيم وهو ابن مائة وعشرين سنة، ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة»، وهذا حديث معلول، فقد رواه جعفر بن عون، وعكرمة بن إبراهيم، عن يحيى بن سعيد، عن أبى هريرة قوله، والمرفوع الصحيح أولى منه، والوليد بن مسلم معروف بالتدليس[1].

وقد روى هذا الحديث عن غير هذا الطريق من نسخة نبيط بن شريط عن النبى ﷺ: **«أول من أضاف الضيف، وأول من لبس السراويل، وأول من اختتن: إبراهيم بالقدوم، وهو ابن عشرين ومائة سنة»**[2] وهذه النسخة ضعفها أئمة الحديث.

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح: وجمع بعضهم بأن الأول: حسب من مبدأ نبوته، والثانى: من مبدأ مولده[3].

---

(١) راجع فتح البارى ١١/ ٩١-٩٢.

(٢) ذكر نحوه العجلونى فى كشف الخفا ١/ ٣١٣ رقم ٨٣٠ وعزاه لمالك عن سعيد بن المسيب مرسلاً، والديلمى عن أبى هريرة رضى الله عنه.

والحديث أخرجه عبد الرزاق فى المصنف ١١/ ١٧٥ رقم ٢٠٢٤٥. وابن عساكر ٢/ ١٤٩ والحديث مرسل.

- والبيهقى فى شعب الإيمان ٦/ ٣٩٥ رقم ٨٦٤٢.

(٣) انظر فتح البارى ٦/ ٤٥٠.

الحادى عشر

فى ختان سيدنا عيسى والأنبياء عليهم السلام

ذكرت فيما سبق أن الختان من الخصال التى ابتلى الله بهن إبراهيم خليل الرحمن فأتمهن وأكملهن، والذى فى الصحيح أن إبراهيم اختتن وهو ابن ثمانين سنة، واستمر الختان بعده فى الرسل وأتباعهم.

فقد روى أبو أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربعٌ من سننِ المرسلينَ: الختانُ، والتعطرُ، والسواكُ، والنكاحُ»**[1]

وقد اختلف العلماء فى ضبط هذا الحديث، فقال بعضهم: الحياء وقال البعض: الحناء، ورد الحافظ المزى فى تحفة الأشراف على ذلك بقوله: وكلاهما غلط، وإنما هو الختان، وهذا أولى من الحياء والحناء فإن الحياء خلق، والحناء ليست من السنن، ولا ذكره النبى ﷺ فى خصال الفطرة، ولاندب إليه بخلاف الختان أ. هـ

واستمر الختان بعد الخليل إبراهيم فى الرسل وأتباعهم حتى المسيح عيسى ابن مريم، فقد كان الختان من شريعته، كما كان من شريعة موسى من قبل.

وقد حافظ على هذا التشريع جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام

---

(١) أخرجه الترمذى: فى كتاب النكاح باب ما جاء فى التزويج والحث عليه ٣/ ٣٩١ رقم ١٠٨٠. وقال: هذا حديث حسن غريب.
- وأحمد فى المسند: ٥/ ٤٢١.
- وعبد بن حميد فى المنتخب من المسند: ص١٠٣.
- وأبو الليث السمرقندى فى كتابه تنبيه الغافلين ص٣٨٩.
- وانظر فيض القدير: ١/ ٤٦٦
- وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير ١/ ٦٢ رقم٩١٩ عن أبى أيوب.

والذى ورد فى ختان المسيح عيسى ابن مريم وشهدت به النصوص الإنجيلية.

يقول لوقا فى إنجيله: «ولما تمت ثمانية أيام ليختن الصبى سمى يسوع كما سمى الملاك من قبل»[1].

ويقول بطريرك أورشليم: «وفى اليوم الثامن لميلاد الصبى - يعنى المسيح - ختنوه حسب الشريعة وسموه يسوع»[2]

وفى إنجيل متّى: «إذا كان الختان شريعة عيسى عليه السلام، وقد ختنته أمه بعد ثمانية أيام من ميلاده حسب شريعة موسى عليه السلام» [3].

وقد حافظ المسيح على هذا التشريع، وأمر أتباعه بالختان، وقد قال لتلاميذه كما جاء فى إنجيل يوحنا: «إن موسى أعطاكم الختان لا أنه من موسى بل من الآباء، فتختنون الإنسان فى السبت، فإن كل إنسان يختتن فى السبت لئلا تنقضى شريعة موسى»[4].

وقد سار تلاميذ المسيح من بعده على شريعته، فنفذوا الختان على أنفسهم، حتى أتباع الحواريين كانوا من المختونين، إذ يقول إدوارد جيسبون: «إن الأساقفة الخمسة عشر الأولون فى أورشليم من المختونين»[5].

ولكن بولس عمل على إلغاء هذه الشريعة، فَأَوَّلَ الختان على حسب هواه فقال: «إن الختان هو ختان القلب، وليس الختان ما كان ظاهر اللحم»[6].

---

(١) إصحاح ٢:٢١.

(٢) الدرة النفسية فى شرح حال الكنيسة ص٣، وبطريرك: مرتبة كهنونية فوق المطران ودون البابا.

(٣) إنجيل متّى ٥/ ١٧.

(٤) إنجيل يوحنا ٧/ ٢٢-٢٣.

(٥) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ٣/ ٤١٠.

(٦) رسالة بولس لأهل رومية ٣/ ٢٥-٢٩.

وقال: «لايقوى الختان ولا القلف فى شىء، بل الإيمان الذى يعمل بالمحبة»[1].

وهذا يعنى أن الختان بالقلب، وأما الختان بالجسد فهو طهارة ظاهرية لاقيمة لها إلى جانب طهارة الباطن، وبهذا التشريع أراد بولس أن يلغى الختان مبيناً أن الناموس لا لزوم له بعد مجىء المسيح.

وظل بولس يدعو الناس إلى عدم الختان، وصمم كما يقول (برتراندراسل) على قبول غير اليهود دون مطالبتهم بالختان، أو الخضوع للتشريع الموسوى .

وقد جرت منازعة بين بولس وبرنابا بخصوص هذا الشأن، وقرر المجتمعون قائلين: قد سمعنا أن قوماً منا خرجوا أقلقوكم بأقوال مقلقين أنفسكم، قائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس، ونحن قد رأينا أن لاتضع عليكم ثقلاً فوق هذه الأشياء التى لابد منها وهى: «أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام، ومن الدم، والمخنوق، والزنا، فإن ضمّم أنفسكم من هذا أحسنتم فيما فعلتم كونوا معاقين»[2].

وأما السبب الذى من أجله ألغى بولس شريعة الختان: فيجيب عليه القس عوض سمعان فيقول: إن بولس ألغى شريعة الختان: إرضاء للوثنيين واستمالة لقلوبهم، وأملاً فى أن يكون بولس هو رسول المسيحية لا المسيح[3] . أ. هـ

وبعد :

فقد علمنا أن الختان كان من شريعة سيدنا عيسى عليه السلام كما بينا آنفاً، واستدللنا على ذلك بأدلة من كتبهم، وعلمنا كذلك بأن بولس

(١) رسالة بولس لأهل غلاطية ٣، ٥، ٦.
(٢) الإصحاح الخامس عشر.
(٣) الله ثالوث وجدانية ص٧٨.

ألغى شريعة الختان لهوى فى نفسه، وقد رد عليه علماء النصرانية، وقلنا بأن تلاميذ المسيح من بعده قد ساروا على شريعته ونهجه، فنفذوا الختان على أنفسهم وعلى أتباعهم.

وقد تمسك بعض النصارى الآن بالختان، وطبقوه على أولادهم وهذه الظاهرة منتشرة بين بعض الطوائف النصرانية الآن.

أما عند اليهود، فإن اليهود يؤمنون بوجوب الختان لأولادهم ويحتفلون بختان الأولاد، ويجعلون له طقوساً، وهم يعتبرون الختان أهم ما يميز اليهودى من غير اليهودى، ويجعلون يوم الختان عيداً لهم يسمى بعيد الختان(١).

والله أعلم.

---

(١) انظر الإصحاح الخامس من سفر التثنية.

الثانى عشر

حكم ختان البنات وما يدور حوله

* **مذهب الإمام الشافعى**: وهو المذهب الذى يلتزم به أغلب سكان مصر، والمذهب الذى يدرسه طلبة العلم بالأزهر من الابتدائية حتى العالمية، ومذهب أغلب المسلمين فى العالم: أن الختان واجب على الرجال والنساء[1].

* **ومذهب الإمام أحمد بن حنبل**: أن الختان واجب على الرجال ومكرمة فى حق النساء، وليس بواجب عليهن. وفى رواية أخرى عنه أنه واجب على الرجال والنساء كمذهب الإمام الشافعى[2].

* **ومذهب الإمام أبى حنيفة**: أن الختان للرجال سنة وهو من الفطرة وللنساء مكرمة، ومن أقواله لو اجتمع أهل مصر (بلد) على ترك الختان قاتلهم الإمام؛ لأنه من شعائر الإسلام وخصائصه[3].

* **والمشهور فى فقه الإمام مالك**: فى حكم الختان للرجال والنساء كحكمه فى فقه الإمام أبى حنيفة، إلا أن السنة عند المالكية يأثم إذا تركها المسلم، فهم يطلقون السنة على مرتبة بين الفرض والندب، فهى بمرتبة الواجب عند الشافعى وأحمد.

* **وخلاصة هذه الأقوال**: أن الفقهاء اتفقهوا على أن الختان فى حق الرجال والخفاض فى حق الإناث مشروع[4]، ولم يقل أحد منهم بأنه مكروه، أو منكر كما نسمع هذه الأيام. بل اتفقوا عليه سواء من قال

---

(١) انظر المهذب للشيرازى وشرحه المجموع للنووى ١/ ٢٩٧.

(٢) انظر المغنى لابن قدامة مع الشرح الكبير ١/ ٧٠.

(٣) انظر الاختيار شرح المختار للموصلى ٢/ ١٢١ فى كتاب الكراهية.

(٤) انظر الإفصاح عن معانى الصحاح ليحيى بن هبيرة الحنبلى ١/ ٢٠٦.

منهم بوجوبه، أو من قال باستحبابه.

واختلاف هؤلاء الأئمة فى حكم وجوبه أو استحبابه أمر يسير، فقد ذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنه مسنون فى حق الرجال والنساء، وليس بواجب وجوب فرض. وإن أثم تاركه عند مالك.

وقال الشافعى: هو فرض على الذكور والإناث، وعن أحمد: واجب فى حق الرجال، وفى النساء عنه روايتان أظهرهما: الوجوب.

الدليل على ختان أو خفاض البنات من السنة

استدل الفقهاء على ختان البنات بعدة أحاديث استطعت حصرها من أمهات كتب السنة :

١ - روى أبو داود فى سننه قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى، وعبد الوهاب بن عبد الرحيم الأشجعى.

قالا: حدثنا مروان، حدثنا محمد بن حسان، قال عبد الوهاب الكوفى: عن عبد الملك بن عمير، عن أم عطية الأنصارية: أن امرأة كانت تختن بالمدينة فقال لها النبى ﷺ: «**لاتُنْهِكِي**[1] **فإن ذَلِكَ أَحْظَى للمرأةِ وَأَحَبُّ إِلى البَعْلِ**»[2].

---

(١) لاتُنْهِكِي: أى لا تبالغى فى القطع والخفض.

(٢) والحديث إسناده هنا ضعيف، يحسن ويصح من أوجه أخر.

أخرجه أبو داود فى السنن كتاب الأدب باب ما جاء فى الختان ٤/ ٣٧٠ رقم٥٢٧١ وضعف إسناده.

- وأخرجه الطبرانى فى الكبير: ٨/٣٥٨ رقم ٨١٣٧ وهو حديث حسن كما قال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد (٥/ ١٧٢) قال: عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال لأم عطية ختانة كانت بالمدينة: «إذا خفضت فأشمى ولاتنهكى فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج» وعزاه الهيثمى للطبرانى فى الأوسط وقال: إسناده حسن.

- والحاكم فى المستدرك: ٣/ ٥٣٥ وسكت عنه، عن الضحاك بن قيس وسكت كذلك الذهبى عنه.

- والبيهقى فى شعب الإيمان ٦/ ٣٩٦ رقم ٨٦٤٥ عن الضحاك بن قيس .

- والبيهقى فى السنن الكبرى: كتاب الأشربة باب السلطان يكره على الاختتان ٨/ ٣٢٥.

- وذكره الحافظ ابن حجر فى تلخيص الحبير ٤/ ٨٣ وعزاه لأبى داود وقال: أعله بمحمد ابن حسان. قال ابن حجر: وله أى للحديث شاهدان من حديث أنس بن مالك، ومن حديث أم أيمن عند أبى الشيخ فى كتاب العقيقة، وآخر عن الضحاك بن قيس عند البيهقى. =

٢ - روى ابن عدى من حديث سالم بن عبد الله بن عمر، والبزار من حديث نافع كلاهما عن ابن عمر يرفعه عن رسول الله ﷺ قال: «**يانساء الأنصار اخْتَضبْنَ غَمْساً، وَاخْفِضْنَ، وَلا تُنْهِكِنَ، فإنه أحْظَى عندَ أزواجكنَ، وإياكمْ وكُفْرَان النعم**»[1] أىَ الزوج

وروى نحو حديث ابن عمر، عن أبى هريرة يرفعه .

وتحمل هذه الرواية دعوة النبى ﷺ إلى ختان البنات، ونهيه عن استئصال البظر كله، بل الأمر فى الحديث بعدم المبالغة فى القطع، وقد علل ذلك أشرف الخلق ﷺ بقوله: «**فإنه أشرق للوجه،وأحظى للزوج**» .

= وخاتمة الأمر فى الحكم على الحديث ما قاله الحافظ السيوطى فى جامعه الصغير (١/ ٢٤ رقم٢٩٧). رواه الطبرانى والحاكم عن الضحاك بن قيس (وأشار عليه بعلامة صح) أى صحيح، أى أن الحديث صحيح.

والحديث صححه الألبانى فى سلسلته الصحيحة٢/ ٣٥٣ رقم ٧٢٢ ط المكتب الإسلامى.

ويشهد له حديث: «خمس من الفطرة» المتفق عليه.

وحديث: «إذا التقى الختانان وجب الغسل» وفيه قال الإمام أحمد: عندما سئل: إذا جامع الرجل امرأته ولم تنزل قال:«إذا التقى الختانان وجب الغسل» وقال: وفى هذا أن النساء كن يختتن.

(١) حديث ابن عمر صححه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم٧٢ (٢/ ٣٥٥) رقم٢ ترقيم خاص

والحديث أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى: كتاب الأشربة باب السلطان يكره على الاختتان ٨/ ٣٢٥.

والبيهقى كذلك فى شعب الإيمان ٦/ ٣٩٦ رقم ٨٦٤٦. والبزار فى المسند (١٧٥) .

وانظر ميزان الاعتدال للذهبى ١/ ٦٣٦ رقم ٢٤٤٧.

ونيل الأوطار للشوكانى ١/ ١١٣.

وتلخيص الحبير للحافظ ابن حجر ٤/ ٨٣ وذكر لهذا الحديث ثلاثة شواهد عن أنس بن مالك، وأم أيمن، والضحاك بن قيس.

وذكره الهيثمى فى المجمع ٥/ ١٧١ - ١٧٢ وعزاه للبزار وقال: فيه مندل بن على وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رواته ثقات.

- وانظر كذلك فتح البارى شرح صحيح البخارى ١٠/ ٣٥٣.

٣ ـ أخرج الطبراني في المعجم الكبير عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لأم عطية ختانة كانت بالمدينة: «**إذا خفضت فأشمى**[(١)] **ولاتُنْهِكِي، فإنه أسرى للوجه، وأحظى عند الزوج**»[(٢)].

٤ ـ أخرج البخارى فى الأدب المفرد قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا عبد الواحد قال: حدثتنا عجوز من أهل الكوفة ـ جدة على ابن غراب ـ قالت: حدثتنى أم المهاجر، قالت: سبيت فى جوارى من الروم، فعرض علينا عثمان ـ أى ابن عفان ـ الإسلام، فلم يسلم منا غيرى وغير أخرى. فقال عثمان: «اذهبوا فاحفضوهما وطهروهما»[(٣)].

٥ ـ وعن الحسن قال: دعى عثمان بن أبى العاص إلى طعامه، فقيل له: هل تدري ماهذا؟ هذا ختان جارية، فقال: هذا شئ ما كنا نراه على عهد رسول الله ﷺ فأبى أن يأكل[(٤)]. يريد بذلك أن الوليمة والطعام لم يكن منهما شيء على عهد رسول الله ﷺ. أما الختان فكان موجوداً. فامتناعه كان على الطعام لا على الختان.

وقد نقل الشيخ أبو عبد الله بن الحجاج فى (المدخل) أن السنة إظهار ختان الذكور، وإخفاء ختان الأنثى»[(٥)].

---

(١) أشمى: شبه القطع اليسير بإشمام الرائحة، والنهك بالمبالغة فيه، أى اقطعى بعض النواة ولاتستأصليها.

(٢) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٨/ ٣٥٨ رقم ٨١٣٧.
وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥/ ٣٥٨ وعزاه للطبرانى فى الأوسط وقال: إسناده حسن. وأشار البيهقى فى السنن الصغير إلى هذه الرواية ٣/ ٣٤٥ رقم الحديث ٣٤٠٤.
وقد سبق تخريج الحديث انظر سابقه.

(٣) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ص٥٤٩ رقم ١٢٤٥، ١٢٤٩. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى ٢/ ٣٥٨ .

(٤) أخرجه أحمد فى المسند: ٤/ ٢١٧ وإسناده جيد .
والطبرانى فى المعجم الكبير ٣/ ٧/ ٢ من طريق أبى حمزة العطار عنه. وقال الألبانى: وأبو حمزة اسمه: إسحاق بن الربيع وهو حسن الحديث كما قال أبو حاتم، وسائر رواته موثقون. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٣٥٥ .

(٥) انظر فتح البارى ١٠/ ٣٥٥.

٦- رواية أخرى: عندما هاجر النساء كان فيهن أم حبيبة[1] وقد عرفت بختان الجوارى، فلما رآها رسول الله ﷺ قال لها: «**ياأم حبيبة، هل الذى كان فى يدك هو فى يدك اليوم؟**» فقالت: نعم يا رسول الله إلا أن يكون حراماً فتنهانى عنه ـ فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو حلال، فادن منى حتى أعلمك**»، فدنت منه ـ فقال: «**يا أم حبيبة إذا فعلت فلا تنهكى، فإنه أشرق للوجه وأحظى للزوج**».

ومن الغريب أن بعض العلماء قرأ هذه الرواية وفهمها ثم قام بعكسها، وأقول: إنه فهمها لأنه من المستحيل على العاقل ألا يفهم منطوق حديث رسول الله ﷺ؛ لأنه ظاهر وواضح للعامى قبل المتعلم.

فقد قرأت فى صحيفة الوفد المصرية يوم السبت الموافق ١٧/ ٩/ ١٩٩٤م أن عالماً من الأزهر ذكر أنه توجد رواية لم يتم تداولها من قبل عن سيدنا رسول الله ﷺ: أنه نهى عن الختان وأمر بمنعه، وأنه عرف أن بالمدينة امرأة تقوم بهذه العملية فاستدعاها ... وأمرها بعدم العودة إلى هذا الفعل. أ. هـ.

هذا ما استطاع هذا الشيخ أن يفهمه من حديث السيدة أم حبيبة والسيدة أم عطية.

بالله عليكم أيها الأعزاء القراء هل هذا ما قرره الحديث الشريف السابق؟ وهل أمر الرسول ﷺ الخاتنة بعدم العودة إلى الختان؟

كل ما فى الأمر أنه أمرها بعدم استئصاله كلية، وألا تبالغ فى القطع والخفض.

وأقول لمثل هؤلاء العلماء اتقوا الله ولاتقولوا على الله ورسوله إلا صدقاً، وخافوا عقابه قبل أن تتقولوا عليه بالباطل.

وقوله ﷺ فى حديث السيدة أم حبيبة واضح جداً: «**بل هو حلال**»

---

(١) ليست السيدة أم حبيبة أم المؤمنين.

ثم علمها إذا أرادت أن تفعل ألا تنهك، أى تأخذ منه شيئاً يسيراً ولا تستأصل.

٧ - ومما يدل على أن خفض النساء كان موجوداً، وكان الصحابة يقومون به ويخفضون بناتهم:

* ما رواه البخارى فى الأدب المفرد قال: حدثنا أصبغ، قال: أخبرنى ابن وهب، قال: أخبرنى عمرو: أن بكيراً حدثه: أن أم علقمة أخبرته: **«أن بنات أخى عائشة رضى الله عنها خُتِنَّ، فقيل لعائشة: ألا ندعو لهن من يلهيهن؟ قالت: بلى: فأرسلت إلى عَدى فأتاهن، فمرت عائشة فى البيت فرأته يتغنى ويحرك رأسه طرباً - وكان ذا شعر كثير - فقالت: أف شيطان. أخرجوه، أخرجوه»** [(١)].

ففى هذا الحديث دليل على أن الختان كان موجوداً ومطبقاً بالفعل على بنات أخى السيدة عائشة، فلو لم يكن على الأقل سنة لما سكتت عنه السيدة عائشة، بل قد أيدته السيدة عائشة وأمرت باللهو فى الختان، وإلى يومنا هذا نجعل يوم ختان الأولاد ذكوراً أو إناثاً يوم فرحة، ويتزاور الناس والأهل بهذه المناسبة ويتهادون الهدايا.

وخلاصة القول فى مجموع أحاديث الختان التى ذكرتها آنفاً، ما قاله الشيخ الجليل محمد ناصر الألبانى فى سلسلته للأحاديث الصحيحة: وبالجملة فالحديث بهذه الطرق والشواهد صحيح، واعلم أن ختان البنات كان معروفاً عند السلف خلافاً لما يظنه من لا علم عنده. وساق مجموعة من الأحاديث تعضد قوله[(٢)].

---

(١) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ص٥٤٩ - ٥٥٠ رقم ١٢٤٧.
والحديث ذكره الألبانى فى السلسلة الصحيحة٢/٣٥٨رقم(٣) خاص ورقم٧٢٢ عام وقال: رواته ثقات غير أم علقمة واسمها مرجانة وثقها العجلى وابن حبان وروى عنها ثقتان أ. هـ. قلت: فالحديث صحيح لأن اتفاق العجلى وابن حبان على توثيقها يقوى حالها.

(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٣٥٧ ومابعدها. ط المكتب الإسلامى.

وبعد:

فلا ينبغى ترك هذه السنة الكريمة التى تحفظ للنساء كرامتهن وتحفظ لهن عفتهن وطهارتهن، وتصون النساء من الوقوع فى براثن الشيطان وجنده، وما أكثرهم فى عصرنا هذا.

ومن ثم كان التوجيه النبوى بخفض النساء لضبط ميزان الحس الجنسى عند الفتاة وضبط عملية الشهوة، مع الإبقاء على لذات النساء واستمتاعهن مع أزواجهن، ونهى عن استئصاله أو المبالغة فى قطعه.

وبذلك يتحقق الاعتدال، فلم يعدم المرأة مصدر الاستمتاع والاستجابة، ولم يبقها دون خفض فيدفعها إلى الاستهتار، وعدم القدرة على التحكم فى نفسها عند الإثارة.

لذلك كان المستفاد من النصوص الشرعية، ومن أقوال الفقهاء على النحو المبين والثابت فى كتب السنة والفقه: أن الختان للرجال والنساء من صفات الفطرة التى دعا إليها الإسلام، وحث على الالتزام بها على ما يشير إليه تعليم رسول الله ﷺ كيفية الختان، وتعبيره فى بعض الروايات بالخفض، مما يدل على القدر المطلوب فى ختانهن.

ومقتضى ما قاله الإمام البيضاوى عن حديث: «خمس من الفطرة» أنه عام فى ختان الذكر والأنثى، حيث قال: إن معنى الفطرة فى هذا الحديث تتمثل فى مجموع ما ورد من أن الفطرة هى: السنة القديمة التى اختارها الأنبياء، واتفقت عليها الشرائع.

وقال الإمام الشوكانى: إن تفسير الفطرة بالسنة لايراد به السنة الاصطلاحية المقابلة للفرض والواجب والمندوب، وإنما يراد بها الطريقة أى طريقة الإسلام؛ لأن لفظ السنة على لسان الشارع أعم من السنة فى اصطلاح الأصوليين[1].

والله أعلم

---

(١) انظر نيل الأوطار ١/ ١٣ وفتح البارى شرح صحيح البخارى ١٠/ ٢٦٢-٢٦٣ ط الخيرية سنة ١٣٢٥هـ.

(أ) نداء إلى عقل وقلب وضمير كل مسلم

توطئـــة:

اعلم أخى المسلم أن الختان بالنسبة للنساء سنة مؤكدة عن سيد الخلق ﷺ إن لم يكن واجباً، وقد صح فى ذلك أحاديث نبوية سقتها من قبل.

ولا يغتر المسلم بقول من قال بأنه لم يصح حديث فى ختان البنات فقد وقفت بحمد الله تعالى على أحاديث صحيحة وبعض الآثار، منها على سبيل المثال:

الأول: حديث الطبرانى عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال لأم عطية ختانة كانت بالمدينة: «**إذا خفضت فأشمى ولاتنهكى، فإنه أسرى للوجه، وأحظى عند الزوج**»[١]

وقد عزا الحافظ الهيثمى هذا الحديث فى مجمع الزوائد للإمام الطبرانى فى معجمه الأوسط وقال: حديث إسناده حسن[٢].

فهذا حديث حسنه الهيثمى من مئات السنين ولم يرد عليه إمام من الأئمة بأن فيه ضعفاً، وليرجع علماؤنا إلى هذه الرواية فى معجم الطبرانى ومجمع الزوائد للهيثمى.

الثانى: رواية الضحاك بن قيس التى أخرجها الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٣٥ والبيهقى فى السنن الكبرى ٨/ ٣٢٥، وفى شعب الإيمان ٦/ ٣٩٦ رقم ٨٦٤٥. وقال عنها الحافظ السيوطى ـ خاتمة الحفاظ: إنها رواية صحيحة[٣].

---

(١) انظر المعجم الكبير للطبرانى ٨/ ٣٥٨ والمعجم الأوسط كذلك .

(٢) انظر مجمع الزوائد للهيثمى ٥/ ١٧٢.

(٣) انظر الجامع الصغير للسيوطى ١/ ٢٤ رقم ٢٩٧. وصحح الألبانى هذه الروايات فى سلسلة الأحاديث الصحيحة كما سبق.

فلا تغتر أخى المسلم بما تسمعه الآن بأن حديث السيدة أم عطية حديث ضعيف، أقول بأن إسناد أبى داود فى سننه لهذا الحديث ضعيف لكن الحديث ليس بضعيف، فقد رواه جمع من أئمة الحديث بطرق أخرى وشواهد كثيرة تعضده وتقويه.

وهذا واقع فى أحاديث كثيرة تكون فى كتاب من الكتب قد رويت بأسانيد ضعيفة، ثم تجد لها بتخريجها متابعات وشواهد ترقى بها من الضعف إلى الحسن أو الصحة، وهذه فائدة من فوائد التخريج الكثيرة[1].

أما فى الأسطر القادمة فسوف أخاطب عقول وضمائر المسلمين فى كل أرجاء الأرض، ومن يقف على هذا الكتاب ويقرؤه.

أقول: اقرأ هذه الأسطر بقلب وعقل واعيين، ابعد عقلك عن المهاترات، وفرغ ذهنك واجعله صافياً لصوت الحكمة والعقل.

فنحن أيها الأخوة نعيش فى عصر طغت عليه المادة، وأصبح يموج بشتى ألوان الفجور والفسق، من نساء كاسيات عاريات، من دور سينما ومسارح، من وسائل إعلام هدامة تدعو إلى الفسق والفجور، من مجلات وصور، من إذاعة وتلفزيون، وأصبحت المرأة المسلمة محاصرة بحصار من حديد لاتستطيع أن تنجو منه إلا من عصم الله.

تعالوا ننظر ونشاهد: الجميع منا يملكون تلفزيونات، وما أدراك ما التلفزيون، الكل يعلم ويشاهد ما يفعله التلفزيون بالمرأة والشباب.

قد كنا فى عهد قريب نشاهد قنوات التلفزيون المصرية فقط مع ما فيها، لكن الآن بعد التطور السريع فى استخدام وسائل الاتصال الحديثة

---

(١) انظر فوائد التخريج فى كتاب «طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ» لأستاذى وشيخى الدكتور/ عبد المهدى بن عبد القادر، وكتاب كنز الحقائق فى تبيين ما فى التخريج من دقائق للعبد الفقير لرحمة ربه.

اخترعوا لنا ما يسمى (بالدش) وهو جهاز يأتى لك بكل قنوات العالم أمام عينيك وفى بيتك، والذى لايستطيع أن يشترى الدش يشترى جهاز صغير آخر اسمه (بوستر) يأتى بحوالى أربعين أو خمسين قناة من تركيا ولبنان، واليونان، وقبرص، وفرنسا، وإيطاليا، وغيرها.

والذى لايستطيع أن يشترى هذا ولا ذاك يشترى (إريل عادى) فعلى الأقل سوف يأتى بعشرين قناة من تلفزيونات الدول المجاورة.

ويمكن خلال فصل الصيف بدون هذه الأشياء جميعها التقاط قنوات عديدة من تلفزيونات لبنان وتركيا واليونان وقبرص.

فهذه القنوات ترى فيها من الفسق والفجور ما لايصدق، أصبح الجنس فيها مباحاً، وأصبح جسد المرأة والرجل سلعة تباع، تستطيع أن تشاهد المرأة والرجل وهما يفعلان الفاحشة أمام عينيك وبكل التفاصيل.

فى بيتك وأمام أعين زوجتك وأولادك بنين وبنات، أصبح بتشغيل مفتاح التلفزيون يمكن أن تشاهد رجلاً وامرأة متجردين من ملابسهما ويفعلان الفاحشة أمامك بلا خجل وبلا حياء.

وسوف أذكر لكم بعون الله تعالى فى الأسطر القادمة، أهم ما تهدف إليه سائل الأعلام المفسدة، حتى يكون المسلم على دراية ومعرفة لما يُحَاك له من دسائس.

فمما لا شك فيه أن عصرنا الحاضر هو عصر الإعلام ووسائل الإتصال، وأصبح لأجهزة الإعلام المكانة الخطيرة فى توجيه الشعوب وصياغة مفاهيمها وتصوراتها وسلوكياتها، وترسيخ القيم والمبادئ، وما كان ذلك ليكون لو لم يكن لوسائل الإعلام ذلك التأثير المميز على النفس البشرية، وأن تصبح وسائلها معاول تخريب وأدوات إفساد[1].

---

(١) فطنت الصهيونية العالمية لهذا الأمر فأحكمت سيطرتها على وسائل الإعلام العالمية.
انظر كتاب: السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية (زيادة أبو غنيمة).

ومع ما لتلك الأجهزة فى الواقع من إيجابيات، إلا أنه من الملاحظ أن الهدم فيها أكثر من البناء، مما جعلها فى غالبيتها أسبابًا للانحراف ومعوقات للاستعفاف، وذلك وفقاً لما يلى:

الوسيلة الأولى: التلفزيون:

ويعتبر من أخطر الوسائل الإعلامية كما سبق وذكرت، ولما له كذلك من تأثير كبير على المشاهد، وذلك لقدرته على جذب الانتباه، وتركيزه على دقائق الصور والحركات واللقطات الحية.

ويتضح ذلك من النتيجة العلمية التى ذكرها أحد التقارير العلمية لمنظمة (اليونسكو)[٢].

أن الإنسان يحصل على معلوماته بنسبة ٩٠٪ عن طريق النظر وبنسبة ٨٪ عن طريق السمع، وأن العين تجذبها الحركة أكثر من أى شيئ آخر.

لكن السؤال هنا ... هل قام التلفزيون فعلاً بواجبه كوسيلة فعاله للثقافة والتعليم والتوجيه والإرشاد؟ هل أدرك التلفزيون دوره الخطير فى عملية التنشئة الاجتماعية وتقويم السلوكيات لدفع عجلة التنمية ورقى المجتمع؟

هل أحسن التلفزيون استغلال سطوته وسلطانه فى تدعيم القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية؟

هل شعر المسؤلون عن الجهاز بضرورة تنقية الإنتاج التلفزيونى من كل ما يتنافى مع قيمنا الدينية والأخلاقية، قبل السماح بعرضه على الشاشة حماية للنشئ والصغار الذين يلتقطون ويتقمصون ما يشاهدونه؟ ولقد أوضحت الدراسات أن المشاهدين يتقمصون الشخصيات التلفزيونية، وأن الأطفال يكررون السلوك الذى يشاهدونه على الشاشة، حيث ثبت أن التلفزيون يؤثر فى مفهوم الأطفال عن أمور الحياة وقيمها، كما يوثر فى

(١) التلفزيون بين الهدم والبناء لمحمد كامل بن العمر صـ٢٥ـ.

مشاعرهم وأحاسيسهم[١] بل إن التأثير السلبى للتلفزيون وصل إلى درجة المساس بالكيان الأسرى، فقد جاء فى دراسة (د. غلين) والتى استندت على استفتاء ٢٠ ألف شخص فى السنوات (١٩٧٢ ـ ١٩٧٦)، أن المتزوجين السعداء جداً فى الأعمار من (٢٥ ـ ٢٩) انخفضت من ٤٤٪ إلى ٣٢٪ ويعزو ذلك إلى سببين: الأول: اتجاه المزيد من النساء للعمل والثانى: هو تأثير برامج التلفزيون الشعبية، وذلك أن التلفزيون(والسينما) يقومان بتجميل صورة الخيانة الزوجية وصورة العزوبية الحره، وهذه بعض الحقائق والنتائج العلمية لبعض الدراسات التى تمت حول الموضوع للإجابة على التساؤلات السابقة:

١ـ يؤكد علماء النفس والاجتماع على أن هناك علاقة ارتباط[٢] بين اذدياد جرائم العنف وازدياد البرامج المليئة بالسلوك الإجرامى وأعمال العنف، وفى دراسة للدكتور«وليام بيلون» العالم الاجتماعى البريطانى ذكر فيها: أن الصغار الذين يشاهدون الكثير من برامج العنف فى التلفزيون يتسم سلوكهم بالعنف بدرجة تزيد مرتين على أولئك الذين لا يشاهدون إلا القليل منها.

وثبت أن ٣٩٪ من الأحداث المنحرفين فى أسبانيا قد تلقوا معلوماتهم من الأفلام السنمائية والتلفزيونية.

صحيح أن الكثير ممن يشاهدون تلك المشاهد لم يرتكبوا سلوكاً إجرامياً، ولكن مما لا شك فيه أن تلك المشاهد تؤدى لانحراف من لديه استعداد نفسى لذلك.

٢ ـ التلفزيون يمكن أن يثير الدوافع وقد ينتج الشعور بالإحباط لأن البرامج تخلق نوعاً من الإثارة وخصوصاً لغرائز المراهقين الجنسية، كما

---

(١) التلفزيون بين الهدم والبناء. محمد كامل بن العمر صـ٢٦ـ.

(٢) التلفزيون بين الهدم والبناء صـ٢٦ـ.

أنها تستثير عواطف المراهق ولا تهذبها كما يرى[1].

٣ - يحرص التلفزيون على إظهار المرأة بالصورة العاطفية حيث يستغرقها الحب لفتاها، ويظهر ذلك من خلال الأغانى الغرامية واللقاءات المحرمة، ومشاهد الإثارة الجنسية، والتى تفتقد لأى معنى إنسانى أو اجتماعى بناء.

كما أثبتت الدراسات أن السينما المصرية قدمت المرأة فى صورة غير لائقة، فهى إما منحرفة السلوك، أو منحرفة الفكر، أو الاثنان معاً.. كما أنها صورت المرأة من زاوية الأنثى المدللة ذات الإغراء والجاذبية الجنسية، كما ركزت على الجوانب الانحرافية فى شخصية الطالبة الجامعية بأنها عاشقة وولهانة دوماً، وتحولت الجامعة تبعاً لذلك إلى مكان للعشق والانحراف[2]. وترتب على ذلك كثرة مشاهد الإثارة والجنس والعرى المبتذل، والتى يعرضها التلفزيون بعد موافقة الرقابة..!

٤ ـ وأصبح على الفتاة أن تحل المعادلة الصعبة، عليها أن تتشبع بهذه الأفلام والصور والأصوات الصارخة بالجنس، وعليها فى نفس الوقت ألا تتأثر بها وإن تأثرت ـ وهذا ما يحدث ـ فعليها أن تخفى هذا التأثر.

ومن الشواهد المفجعة تلك الرسالة التى بعثتها فتاة فى سن الثامنة عشرة.

تقول: «إنى أفكر بالانتحار فى كل دقيقة بل فى كل ثانية، لأنه لا تمضى ساعة واحدة دون أن أشعر بالعاطفة الجنسية الجامحة تخترق أحشائى، كما يخترق الرصاص جسم الإنسان ويقتله، وكلما شاهدت فيلماً عاطفياً أو قرأت قصة غرامية تثور عاطفتى وغرائزى»[3].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الزنا. دندل جبر صـ٤٧ـ.

٥ ـ أشار تقرير من الهيئة الصحية العالمية عام ١٩٥١ عن انحراف الأحداث لقول أحد القضاة الفرنسيين العاملين فى ميدان الأحداث: «لا يخالجنى أى تردد فى أن لبعض الأفلام وبخاصة الأفلام البوليسية المثيرة معظم الأثر على غالبية الأحداث المنحرفين، وإننا لهذا لسنا بحاجة إلى البحث عن أسباب عميقة وراء السلوك الإجرامى عند هؤلاء الأطفال أو المراهقين».

ولا يستطيع أن ينكر أحد أن المسألة الجنسية والمشكلات العاطفية مسؤولة عن جانب كبير من الجرائم والانحرافات الاجتماعية، فضلاً عن أن طريقة عرضها وتصويرها بالتفصيلات والمبالغات، تدعو إلى استثارة الشهوات، ومزيد من الإلحاح الغريزى لتلبية النداء الجنسى.

لذا فإن من الضرورى أن يكون الرقيب التلفزيونى على مستوى عال من الثقافة التربوية والاجتماعية، فضلاً عن الورع الدينى والإحساس بعظم مسئوليته تجاه ربه ودينه ومجتمعه، ويظل شعاره الدائم: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فى الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُم عَذَابٌ أليمٌ فى الدُّنيا وَالأَخرةِ واللهُ يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾** [سورة النور: ١٩].

٢ ـ دور السينما:

وهى من الوسائل التى لا تقل خطورة عن التلفزيون، إن لم تكن أكثر حيث لا يستطيع المشاهد أن يتحكم بما يراه على الشاشة، بل يُفرض عليه فرضاً أن يرى الفيلم المعروض كاملاً، وقد ثبت علمياً وجود علاقة بين الأفلام العاطفية ذات القصص الغرامية، ووجود الانحرافات الجنسية. فقد أجرت مؤسسة (باين) من عدة سنوات دراسات لتأثير السينما على الأطفال، وتوصلت ضمن إحدى نتائجها إلى ما يلى:

* من بين (٢٥٢) من البنات المنحرفات، وكلهن فى السن من (١٤ ـ ١٦) سنة، صرح (٢٥٪) منهن بأنهن اشتركن فى عمليات جنسية مع

بعض الرجال، عقب تفتح نفوسهن وغرائزهن الجنسية، بعد مشاهدتهن فيلماً لقصة حب عنيفة. وقال(٣٣٪) منهن بأنهن عندما هربن من منازلهن كن متأثرات بما شاهدنه فى بعض الأفلام، فى حين أوضحت (٣٨٪) منهن أنهن عشن عيشة القلق والوحشية والانقباض[١]، هذا فضلاً عن الأثار الأخرى كالرغبة فى حمل المسدس والسرقة والغش وغيرها من أنماط السلوك المنحرف.

* إذا كان هذا الأمر من سنوات بعيدة فماذا نقول عن واقع دور السينما فى عصرنا الحاضر، والتى تخصصت فيه بعض الدور لأفلام الخلاعة والجنس الرخيص...؟! وقلما تعرض أفلاماً سينمائية دون أن تكون الإثارة إحدى ركائزها ومن أسباب دعايتها وإعلاناتها.

٣ ـ الصحف والمجلات:

وهى ذات تأثير خاص ومميز، وذلك أن لها اتصالاً يومياً مع الناس بكافة فئاته، حتى الأمى فإنه يطلع على المجلات ليتمتع بالصور والمناظر واللقطات.

ـ يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى رحمه الله فى كتاب الحجاب: «عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثالوثها عبر حياتنا اليوم، وهى جميعها فى تسعير سعير لأهل الأرض.

أولها: الأدب الفاحش الخليع الذى لا يفتأ يزداد وقاحة، ورواجة بعد الحرب العالمية بسرعة عجيبة.

والثانى: الأفلام السينمائية التى لا تذكى فى الناس عواطف الحب الشهوانى فحسب، بل تلقنهم دروساً عملية فى بابه.

والثالث: انحطاط المستوى الخلقى فى عامة النساء اللاتى يظهرن فى

---

(١) نقائص الأطفال وطريقة إصلاحها. محمد الاستانبولى صـ٣٨ـ.

ملابسهن بل فى عريهن، وفى إكثارهن من التدخين، واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام[1].

* ولعل الآثار السيئة للصحف والمجلات تبرز فى الجوانب التالية:

أ - عرض الصور الخليعة للنساء الساقطات من الممثلات والمغنيات والراقصات، ويتم العرض بأبهى الصور وأكثرها إثارة وفتنة.

ب - عرض الصور عبر الإعلانات التجارية، والتى غالباً ما تُستخدم المرأة فيها كوسيلة للإثارة والدعاية.

جـ - تتبع أخبار الساقطات على أنهن قدوات لغيرهن من النساء، مما يثير فى النفوس الخاوية الرغبة فى تقليدهن فى اللباس والزينة وأسلوب الحياة.

د - عرض المقالات والقصص الغرامية وما يتبعها من الأشعار والروايات والأخبار والتى تعرض بأسلوب مثير للغرائز.

هـ - تعمّد الإكثار من الزوايا التى تعرض صوراً للنساء المواطنات بتبرجهن وزينتهن، وأحيناً بتعريفهن للقراء مما يشجع الفتيات والنساء على التسابق بوضع صورهن فى تلك الزوايا.

ومن التناقضات العجيبة أن يجد القارئ أن إحدى الصحف تدعو للفضيلة فى صفحة ثم تدعو للرذيلة فى الصفحة التى تليها. ومن الأمثلة الفاضحة لدور الإفساد لبعض الصحف، ما خرجت به علينا إحداهن فى إحدى صفحاتها بالإعلان عن إحدى الفتيات الأمريكيات من أصل عربى وبعد أن عرضت عنوانها وصورتها تابعت الإعلان بقولها:

العمر: ١٨ عاماً.

الحالة الاجتماعية: تبحث عن شاب مقتدر، قادر على الانتفاضة المادية. !!

---

(١) الحجاب: المودوى صـ٦١ـ.

الوظيفة الحالية: ممثلة إغراء.

المشروب المفضل: الشامبانيا باللوز..!

فلا ندرى تحت أى غاية يوضع هذا الإعلان؟ وماذا يتوقع أصحاب هذه الجريدة من الشباب المراهق لدى قراءته؟!

٤ ـ الأدب الخليع:

من الكتب والقصص والروايات والتى يجد فيها أدباء الجنس بغيتهم فى نشر الميوعة والانحلال والتفسخ، هؤلاء الذين قال فيهم الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله: «إن هؤلاء الناس من أدباء الجنس يحملون بأيديهم معاول التهديم فى صرح كياننا الداخلى المتين، وهم فى هذا الطريق الذى اختطوه لا يريدون بذلك مصلحة الأمة، ولا يندفعون وراء عقولهم بل وراء أهوائهم وشهواتهم، وهم يبتغون منه الإثراء المادى بنشر هذا الأدب الرخيص المدمر بين الشباب والفتيات ليقبلوا عليه ويلتهموا ما فيه..».

إننا نقول لهؤلاء: اتركوا بناتنا عفيفات، اتركوا زوجاتنا وفيات مخلصات، اتركوا لنا شبابنا قوة وكفاح، لا شباب ميوعة وانحلال..

٥ ـ أفلام الفيديو:

حيث بدأت تنتشر فى السنوات الأخيرة انتشاراً ذريعاً، فقد بلغت نسبة الشباب الذين يقضون أوقات فراغهم بمشاهدة الأفلام الممنوعة نسبة كبيرة جداً.

وتكمن المخاطر الأخلاقية فى هذه الظاهرة كما يلى:

١ـ تعدد مصادر تلك الأفلام مما يجعلها تستورد لنا أنماطاً من السلوك والأخلاقيات لكافة شعوب العالم، بل وبشكل واضح الأنماط الانحرافية المتنوعية لتلك الشعوب، حيث أن الغالب فى تلك المحلات هى أشرطة الأفلام والقصص الغرامية الأجنبية والعربية.

٢- سهولة الحصول على أجهزة عرض أشرطة الفيديو، حتى أصبح من السهولة لكل مراهق أن يجعل له جهازاً خاصاً فى حجرته.. وهذه هى علامة الخطر التى ينبغى أن ينتبه لها كل مرب.

٣- سهولة تداول تلك الأشرطة بين الشباب، كما أنه يسهل الاستنساخ عليها، وتوسيع دائرة توزيعها.

٤- صاحبت هذه الظاهرة قضية خطيرة جداً وهى الأفلام الجنسية الخليعة التى تعرض العرى واللقطات الفاضحة جداً والتى تصرع الشباب المراهق صرعاً إذا ما وقع فى أسرها، ولنا أن نتصور حال الشاب الذى تملكت عليه شهوته،وهو يرى تلك الأفلام فماذا يتوقع منه؟ خصوصاً فى الأجواء غير التربوية التى يعيشها، فلا رقابة أسرية جادة، ولا توجيهاً تربوياً ناجحاً، ولا مجتمعاً يشغل أوقاته بما ينفع.

ولعل من الأسباب التى ساعدت على انتشار هذه الأشرطة ما يلي:

١- غياب الرقابة الفعالة على محلات بيع أشرطة الفيديو، مما شجعها على التوسع فى جلب الأفلام المثيرة.

٢- الهدف لغالب تلك المحلات تجارى بحت، مما يجعل القائمين عليها لا يهتمون للآثار السلبية لتلك الأفلام مقابل اهتمامهن بالربح المادى.

٣- الدعاية الجذابة والإعلانات المثيرة والتسهيلات الكثيرة التى تجذب الشباب لتلك الأفلام.

ولإدراك الأبعاد الخطيرة لتلك الظاهرة لنستعرض ما قاله فئة من الشباب الذين يشاهدون تلك الأفلام الخليعة، وذلك فى تحقيق صحفى أجرته إحدى الجرائد اليومية:

* **قال أحدهم:**

«فى إحدى المرات وجدت فى مكتبة والدى فيلمًا جنسيًا فأخذته وسجلته وأرجعته إلى مكانه دون أن يعلم أحد ..!.

أما بالنسبة لوالدتي فكل همها الفلوس، وهي من النوع الذي يتفاخر بإرسالنا إلى مدارس داخلية في العطلة الصيفية».

* وقال آخر:

« أما بالنسبة لظروفي الاجتماعية فقد فتحت عيني على الشجار والضرب والصراخ والعنف بين أمي وأبي. والدي مدمن على الخمر، وكل يوم يأتي في منتصف الليل مترنحاً مما يثير غضب أمي المسكينة التي تخاف علينا وعليه، تريده أن يكون زوجاً وفياً مخلصاً مهتماً بأولاده كسائر خلق الله... أما أبي فكل همه السهر والسكر والنساء».

* شاب آخر يبلغ من العمر ٢٠ عاماً.. يقول: «إن السبب الذي شدني لرؤية الأفلام الممنوعة هو الفراغ الذي أعيش فيه، وعدم وجود مكان أقضي فيه وقت فراغي، ومنذ أن كنت في المرحلة الابتدائية وأنا أعرف «شلة» لا أزال أرتبط معها بصداقة حميمة..!

أما بالنسبة لأهلي فهم لا يعرفون إلى أين أذهب، وماذا أعمل؟ والدي تاجر، وكل وقته يقضيه في عمله، وأمي كل همها اللبس الفاخر والسيارات والأثاث والديكور..!!»

* وقال شاب آخر يبلغ السابعة عشرة من عمره:

«وأول مرة شاهدت فيها مثل هذه الأفلام كان منذ سنين، حيث كنت في زيارة لأحد أصدقائي، وكان في غرفته فيديو فقام بتشغيل فيلم.. وبعدها تعودت على رؤية هذا النوع من الأفلام».

ثم يصف حاله قائلاً: أسرتي مفككة جداً... والدي مشغول بتجارته، كذلك منذ أن فتحت عيني على الدنيا وجدت نفسي في أحضان المربيات والمدرسات، والداي لا أراهما إلا في المناسبات... والدي لا يعرف عنا سوى أننا أولاده فقط، وكل وقته يقضيه بالخارج».

أما الخامس: فيلقى بعداً جديداً للموضوع فيقول: «نحن نعيش فى ظل حياة مادية بحتة، الكل يجرى فيها وراء المظاهر، وهذا جعلنا نتصرف ونلهو ونعمل ما نشاء، نمارس الخطأ ونحن نعرف أنه خطأ».

بل إن الأمر لن يقف عند هذا الحد ، بل سيدفع الشاب إلى إرضاء نزواته بأى وسيلة، ولو أدى ذلك إلى الاعتداء على أعراض الآخرين[1].

هل تأمن أخى المسلم على زوجتك أو ابنتك فى ظل هذا الجو المشحون، وأمام هذا التيار الحاقد الجارف؟ لقد أمرك رسولك ﷺ بتهذيب وتطهير بناتك بقطع جزء يسير من البظر، والذى به تهدئ ولا تمحى بالكلية شهوة البنت والمرأة، أو تتركها ببظرها كاملاً وأمام أى إثارة بسيطة تؤدى بها إلى الهلاك ومسالك الشيطان، ماذا لو قامت ابنتك ففتحت التلفزيون ورأت فيلماً به جنس أو إثارة، وهى لم تخفض ولم تختتن؟

فماذا تفعل هذه الفتاة المسكينة؟ إما أن تثور شهوتها فتحاول أن تهدئها فلا تجد، أو تمارس العادة السرية، أو تتخذ طريق الانحراف سبيلها.

أما إذا قومنا هذه الفتاه بخفضها لكان هذا أيسر وأسهل عليها وعلينا.

وانظر إلى الشارع المصرى الآن: فإنك تشاهد النساء والفتيات وهن يلبسن الثياب القصيرة التى لا تستر عورة، وعلى الشواطئ تجد الرجال والنساء لايلتزمن بعورة، وأصبح جسد الرجل والمرأة مباحاً وكلاً مستباحاً.

أخى المسلم: إن المرأة التى لم تخفض تظل شهواتها مثارة على الدوام فإذا رأت ما يعجبها زادت شهوتها، وأصبحت خطراً على نفسها وعلى أهلها وعلى غيرها.

---

(١) انظر كتاب العفة ومنهج الاستعفاف ليحيى بن سليمان العقيلى ص ٦٠.

أيها الأب المسلم: لاتدع ابنتك تصل إلى هذا الحد، ولماذا كل هذا الإهمال من الآباء الذين يتركون سنة من سنن الحبيب المصطفى ﷺ، وقد سمعنا أن المرأة التى لم تختن تستثار بمجرد ملامسة ثيابها لها وبخاصة إذا لبست ثياباً ضيقة.

أخى المسلم: فى أوائل الثمانيات قام كثير من أبناء مصرنا الحبيبة بالسفر إلى الخارج للعمل وجلب الرزق، وحسب الإحصائيات يوجد حوالى خمسة ملايين مصرى فى شتى بقاع العالم، على أقل تقدير نصف هؤلاء بالطبع ترك زوجته، من يسافر من هؤلاء لايرجع إلا بعد سنة فى المعتاد. بالله عليكم ماذا تفعل زوجة هجرها زوجها لمدة عام كامل أو أكثر.

فى عصر كما قلت ظهر فيه من ألوان الفساد ما ظهر، ويكفى ما ذكرنا عن التلفزيون والسينما والفديو.

بالطبع لو كانت الزوجة قد خفضت فإن ذلك قد يهذب من شهواتها فتحفظ زوجها وبيتها، وكثيراً ما سمعنا عن نساء تركهن أزواجهن وسافروا إلى الخارج كم عانين أشد المعاناة من فراق الأحبة، واللاتى لم يعصمهن دين ولا عفة وقعن فريسة للشيطان، واسألوا فى ذلك أطباء النساء والتوليد، وكم يرد عليهم من هؤلاء كل يوم.

وفى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حدث أن سمع عمر رضى الله عنه امرأة وهى فى بيتها أثناء الليل تقول:

تطاول هذا الليل واسود جانبه ... **وطال على أن لا خليل ألاعبه**

والله لولا خشية الله وحده ... **لحرك من هذا السرير جوانبه**

ولكن ربى والحياء يكفنى ... **وأكرم بعلى إن طوى مراكبه**

فسأل عنها عمر رضى الله عنه، فقيل له: هذه فلانة زوجها غائب

فى سبيل الله، فأرسل إليها تكون معه، وبعث إلى زوجها فأقفله، ثم دخل على حفصة ـ أم المؤمنين ـ فقال: يا بنية كم تصبر المرأة عن زوجها: فقالت: سبحان الله، مثلك يسأل مثلى عن هذا؟ فقال: لولا أنى أريد النظر للمسلمين ما سألتك. قالت: خمسة أشهر، فوقت للناس فى مغازيهم ستة أشهر، يسيرون شهراً، ويقيمون أربعة أشهر، ويسيرون راجعين شهراً[1].

وذلك حتى لايدع سبيلاً إلى اقتراف هذا الذنب الكبير، وليحافظ على المجتمع المسلم من التفسخ والانحلال.

فقد حدث هذا فى زمن مَنْ؟ فى زمن عمر بن الخطاب أعدل الخلفاء وأرشدهم، وَمِنْ أى امرأة؟ يمكن أن تكون صحابية أو تابعيه، ومع ذلك الغريزة موجودة ولن تنقطع من النساء، لكن الخوف من الله تعالى هو الذى يمنع المرأة من الوقوع فى الذنب.

فهل يمكن أن نقارن بين تلك المرأة، وبين أى امرأة فى زماننا هذا؟ طبعاً شتان الفارق بين أولئك وهؤلاء.

وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه كان يتعسس أحوال الرعية ذات ليلة فسمع امرأة تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم هل من سبيل إلى نصر بن حجاج

فقال عمر: أما فى عهد عمر فلا، فلما أصبح استدعى نصر بن حجاج، فوجده من أجمل الناس وجهاً، فأمر بحلق شعره، فازداد جمالاً، فنفاه إلى الشام حسماً للداء قبل نزوله، وقطعاً لدابر الافتتان وسداً لباب ذريعة الفساد.

وقد حافظ الإسلام على حقوق المرأة، ومن حقوقها ألا يهجرها

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف برقم ١٢٥٩٤، وورد كذلك من رواية ابن جريج أربعة أشهر وثلاثة أشهر.

زوجها أكثر من أربعة أشهر، فإذا حلف الرجل ألا يطأ زوجته أربعة أشهر فأكثر كان مولياً، فإما أن يرجع فى تلك المدة فيطؤها ويكفر عن يمينه وإلاتطلق منه بمجرد مضى المدة وذلك حتى لا تتضرر الزوجة.

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[سورة البقرة: ٢٢٦ـ٢٢٧].

هذه هى تعاليم ديننا الحنيف، هل نتركها حتى نرضى الكفرة والملاحدة الذين يريدون أن نصبح مثلهم؟ هل نترك نساءنا فلا نخفضهن كما يفعل هؤلاء؟

فى الغرب الملحد ليس هناك مانع من دين ولا عفة ولا عصمة يمكن أن تعصم المرأة من الوقوع فى الزلل والخطأ، هناك للمرأة عشيق بجانب زوجها وبعلمه.

والذى نقرأه الآن على صفحات الجرائد اليومية والمجلات عن أميرة بريطانيا(**الأميرة ديانا**) ليس بغريب ولا مستبعد عن هؤلاء.

فالذى ذكرته الصحف أن الأميرة كانت تترك زوجها الأمير (**تشارلز**) وتذهب لمنزل عشيقها ويدعى: (**جيمس هويت**) الذى كان ضابطاً فى البحرية، وذات يوم قام مصور بتصوير كل ما حدث بالتفصيل بين الأميرة وعشيقها بكاميرات سرية، وقدم شريط الفديو للمخابرات، وقد اعترفت الأميرة (ديانا) بالخيانة على شاشات التلفزيون مؤخراً، لذا قامت ملكة بريطانيا بطلب طلاقها من ولى العهد وقد حدث بالفعل.

هؤلاء الكفرة يريدون أن نكون مثلهم، ويريدون لنسائنا وبناتنا أن يصبحن مثلهن، هل نسكت حتى نسمع أن رجلاً مسلماً يرضى أن يشاركه رجل آخر فى زوجته؟ إن هؤلاء الذين يدعون إلى ترك ختان البنات يريدون أن نصبح مثل الغرب الكافر، لا نخوة ولارجولة عند

الرجال والشباب، والمياعة والاستهتار والانحلال عند النساء.

فيا أمة الإسلام، أمة الختان: حافظوا على نسائكم وبناتكم، واتقوا الله فيهن.

يا أمة الختان: خافوا الله ولاتقلدوا الغرب الملحد فى ترك الختان.

يا أمة الختان: حافظوا على سنة من سنن نبيكم ﷺ.

يا أمة الختان: حافظوا على صحتكم فإنكم مسئولون عنها بعد موتكم.

ياأمة الختان: حافظوا على شبابكم من الوقوع فى الرذيلة.

والله أعلم

(ب) نداء إلى المرأة المسلمة

يجب أن تتجاوب المرأة المسلمة مع أمر الله تعالى ونهيه، وأن تتفاعل مع حب الله ومرضاته، وأن تتفانى فى عبادته وتعظيمه، حتى ينشرح صدرها بالإسلام، ويستنير عقلها بالعلم والمعرفة.

وإنها لتشعر بالغبطة والسعادة والاطمئنان والراحة حين تجد نفسها متجاوبة مع تعاليم إسلامها حق التجاوب، متفاعلة مع إيمانها حق التفاعل، متفانية فى حب ربها وحب رسوله ﷺ إلى أبعد حدود التفانى.

وبالعكس من ذلك، فإنها تشعر بالحزن والقلق، والشقاء والألم والخوف والوجل، حين تجد نفسها متكاسلة متقاعسة متغافلة مقصرة مفرطة عن متطلبات الإسلام وتبعات الإيمان، ومستلزمات الحب فى الله والتفانى فى سبيله.

إن الإسلام بالنسبة لها روح وحياة، سمع وبصر، شعور وإحساس غذاء وهواء لا تحيا إلا به ولاتعيش إلا معه.

واعلمى أختى المسلمة: أن تجاوب المرأة مع إسلامها يجب أن يكون فى كل جوانبه لا فى جانب دون الآخر، فى كله لا فى بعضه.

واعلمى أن هذا التجاوب يجب أن يكون بدافع التصديق والإيمان القناعة والتسليم والرضى والاطمئنان، لا بدافع الإكراه والقسر أو الإجبار والقهر.

لقد أمرك النبى الكريم ﷺ بالختان - أو الخفض - فيجب عليك الامتثال لتعاليم سيد الأنام ﷺ ، حتى لا نطيعه فى أمر ونعصيه فى أمر فيحل علينا غضب الرب عز وجل.

واعلمى أختى المسلمة: أن الإفراز الدهنى فى الشفرين الصغيرين

وجزء البظر، إن لم تقطع بالخفض يتجمع ويذخر (يذنخ) وتنبعث منه رائحة كريهة غير مقبولة، وقد يحدث التهاباً يمتد إلى المهبل، بل إلى قناة مجرى البول.

وهذا ما قرره الطب وأكده الدكتور/ منير محمد فوزى أستاذ أمراض النساء بجامعة القاهرة حيث قال فى جريدة الوفد القاهرية يوم الخميس الموافق١٥/ ٩/ ١٩٩٤:

هذه العملية من السنن المؤكدة، وأنه من المفروض أن نتفهم حقيقة المطلوب من الشرع من هذه الناحية، فالختان كما يجرى فى بعض الأماكن غير المخصصة لذلك مثل **(حلاقين الصحة)** أو **(الدايات)** لايجرى بطريقة علمية من الناحية الجراحية.

فالمطلوب هو إزالة الجزء الزائد عن الحدود الطبيعية؛ لأن وجود هذا فى بعض الإناث يسبب التهابات مزمنة نتيجة للاحتكاك، وكثرة النتوءات مما يسبب الإفرازات الكثيرة وتكاثر البكتيريا الذى يترتب عليها الالتهاب المزمن، خصوصاً فى الأجواء الحارة والرطبة.

ثم وجه نداءه إلى المسئولين فى مصر أن يدربوا الأطباء على إجراء هذه العملية فى المستشفيات بمخدر، وتؤدى جراحياً بطريقة تجميلية.

وتحت عنوان (اللهم لا اعتراض)

فى يوم الجمعة ١٠/ ١١/ ١٩٩٥ نشرت إحدى الجرائد اليومية الخبر التالى:

تحت عنوان (**الختان وقاية ضد الإيدز**) ونص الخبر:

(الختان يقلل من خطورة الإصابة بفيروس الإيدز، ويمكن أن يشكل وقاية فعالة منه،أكد ذلك فريق من العلماء والباحثين بينهم العالم البلجيكى «بيتربيوت» المسئول عن برنامج مكافحة الإيدز فى الأمم المتحدة الذى قال: إن فيروس الإيدز لا يتسلل ـ كما كان سائداً لفترة طويلة ـ عبر قناة البول، وإنما عبر إفرازات الغدد، وجاء فى تقرير وضعه هؤلاء العلماء: أن جلدة العضو التناسلى توفر بيئة حارة ورطبة مثالية لاحتقان الفيروس، الذى لا يعود أمامه سوى إيجاد ثغرة لتفشى العدوى، وأكد هؤلاء العلماء أن الأطفال غير المختونين معرضون خمس عشرة مرة للالتهابات البولية أكثر من الأطفال المختونين) ا. هـ.

وأود بهذا الخبر أن أسمع آراء المتحذلقين العلمانيين صيادى الماء العكر بعد هذا التقدير العلمى، الذى توصلت إليه أبحاث علماء الغرب (غير المسلمين) الذين يؤكدون بهذا الاكتشاف العلمى (المتوقع لدى العاملين بسنة النبى ﷺ) ضرورة عملية الختان دون تفريق فى ذلك بين ذكر أو أنثى.

أتوقع أن يقوم مرتزقة الصحافة بعد قراءتهم هذا الخبر (إن كانوا يقرأون) أن يكتبوا بما يواكب هذا الخبر، ليس على ثبوته بالسنة الصحيحة، ولكن على أنه اكتشاف طبى عن طريق أبناء العم سام.

وبالتأكيد ستكون مقالتهم فى نفس المكان الذى كتبوا فيه يهاجمون الختان والداعين إليه. ولكن فليناقضوا أنفسهم كيفما شاءوا . . . فليس بعد الحق إلا الضلال . . . واللهم لا اعتراض.

وقد ذكرت الأخت الفاضلة الدكتورة/ نور السيد راشد فى كتاب (وداعاً للخلاف فى أمر الختان)[1] عن فوائد ختان الأنثى فقالت:

الفائدة الأولى: ترك هذا الغشاء الذى يغلف البظر، وهو هرمى الشكل، مشقوق من جهة واحدة، أى أنه يشبه الجراب، مما يجعله دائماً غير نظيف، نتيجة لدخول بعض الإفرازات المهبلية وجزء من البول وتراكمها فيه، وهذه الإفرازات وبقايا البول تكون بيئة ملائمة لنمو وتكاثر أنواع عديدة من البكتريا والفطريات، التى تسبب الكثير من الأمراض البكتيرية والأمراض الفطرية لكل من الجهازين البولى للرجل(الكليتين والحالبين والمثانة) والتناسلى(المبيض والرحم والمهبل) للأنثى، وذلك لشدة قرب فتحتى الإخراج لكل من الجهاز التناسلى والجهاز البولى للأنثى.

فعلى سبيل المثال: من الأمراض البكتيرية التى تضر الجهاز البولى: التهاب المثانة، أو التهاب الحالبين، أو التهاب الكليتين، الذى يسببه نوع من البكتريا اسمه {بسودوموناس **Pesudomonas**}.

ومن الأمراض الفطرية التى تسبب التهابات فى الجهاز التناسلى للأنثى تكون نتيجة للإصابة بفطر: {الكانديدا.Cndida} أو فطر: {ترايكوموناس **Tricomonas**} أما الالتهابات التى تصيب الجهاز التناسلى للأنثى نتيجة للتلوث البكتيرى، فتسببها أنواع من البكتريا العنقودية والسبحية اللاهوائية مثل بكتيرياك {جونوكوكاى ـ**Gonococi**}، وبكتريا: {نيسريا السيلان ـ**NisseriaGonorroae**} وبكتريا: الكلامديا ـ **Chiamidia**} والتى تسبب فى حالات الإصابة الشديدة العقم.

الفائدة الثانية: ترك هذا الغشاء يؤدى إلى الشبق الجنسى، وأيضاً الإكثار من العادة السرية، وذلك لكثرة احتكاك هذا الغشاء بالبظر.

الفائدة الثالثة: وجود بقايا البول والإفرازات الجنسية داخل هذا الغشاء يكون مصدراً لنجاسة الثوب والبدن، وبالتالى نقص عنصر الطهارة

---

(١) من ص ١١ ـ ١٥.

بالنسبة للمسلمة.

وعن فوائد ختان الذكر قالت الدكتورة/ نور السيد راشد:

الفائدة الأولى: إزالة القلفة لها تأثير طيب على المعاشرة الزوجية ويخلص المرء من خطر انحباس الحشفة أثناء التمرد.

الفائدة الثانية: يخفف الختان خطر الإكثار من استعمال العادة السرية، لأن وجود القلفة ووجود الإفرازات الجنسية المختزنة بها يثير الأعصاب التناسلية المنبثة حول قاعدة الحشفة، وتدعو المراهق إلى حكها والاستزادة من مداعبتها ومداعبة عضوه.

الفائدة الثالثة: إزالة القلفة يزيد من مدة الجماع قبل القذف، لذلك فإن المختونين أكثر استمتاعاً وأكثر متاعاً وإرضاءاً.

الفائدة الرابعة: وجود بقايا البول والإفرازات الجنسية داخل القلفة فى حالة عدم الختان، تكون مصدراً لنجاسة الثوب والبدن، وبالتالى نقص عنصر الطهارة بالنسبة للمسلم.

الفائدة الخامسة: إذا لم تقطع الجلدة التى تغطى الحشفة فإنها تحوى دائماً بعض قطرات من البول، وبعض الإفرازات الجنسية، كالسائل المنوى والحيوانات المنوية، وكل هذه الإفرازات وبقايا البول تكون بيئة ملائمة لتغذية وتكاثر العديد من أنواع البكتريا والفطريات، التى تسبب الكثير من الأمراض البكتيرية أو الفطرية لكل من الجهاز البولى من (الكليتين والحالبين والمثانة) والجهاز التناسلى من (الخصيتين، وقناة المنى، وكيس المنى، وغدة البروستاتا، والقضيب) للذكر، وذلك لاشتراك الجهازين فى فتحة إخراج واحدة بالقضيب، مما يسهل إصابتهما.

أما عن أنواع البكتريا والفطريات التى تصيب الجهاز البولى أو التناسلى للذكر، فهى نفس الأنواع التى ذكرتها من قبل، والتى تصيب نفس الجهازين للأنثى تقرباً، وتسبب العديد من الإلتهابات لكل من الجهازين، مما يؤدى إلى تلف فى بعض خلايا الكلى، أو الفشل الكلوى

فى حالات الإصابة الشديدة للجهاز البولى، أو تسبب التهابات شديدة فى الخصيتين، أو غدة البروستاتا، تكون نتيجتها إما ضعف القدرة على الإنجاب أو العقم.

(ملاحظة)

الأمراض الفطرية أو البكتيرية التى تصيب الجهاز البولى أو التناسلى لأى من الزوج أو الزوجة، تكون مصدراً لإصابة الطرف الآخر، ولهذا فإن صحة وسلامة كل من الزوجين مهم جداً بالنسبة للآخر.

فهذا هو رأى الطب وقد سألت أطباء مخلصين أتقياء يعرفون الله تعالى حق المعرفة، ويعرفون كذلك حق عملهم ومهنتهم، فأكدوا جميعاً بحتمية الختان بالنسبة للإناث.

أختى المسلمة: أمامك أمران: أمر سيد البشر ﷺ، ورأى الأطباء الشرفاء، فهل بعد قول المعصوم عليه الصلاة السلام، والشرفاء من الأطباء رأى.

أختى المسلمة: إن المرأة التى تستمع لنداء ربها وتلبيه، وسنة نبيها فتؤديها كالشجرة التى تنبت فى أرض الإسلام، وتنمو فى مناخ الإيمان وتتغذى بنفحات الرحمن، شجرة طيبة مباركة، تؤتى أعطر الأزهار، وأينع الثمار، وأنضر الأوراق، وتمنح لمن حولها الظل الوارف، والنسيم الوادع.

إن المرأة المسلمة الحقة كانت ولازالت وستبقى رمز الطهر والعفاف مثال الجمال والكمال، عنوان الود والوفاء، علم التضحية والفداء.

فلتلتزم الأخت المسلمة لنداء الفطرة الحقة، ولاتستمع إلى أى قول يخالف سنن الفطرة التى أقرها رسولنا ﷺ وأمرنا بها وحثنا عليها.

والله أعلم

(جـ) غيرة المسلم الحق

الغيرة: هى العاطفة التى تدفع الرجل لصيانة المرأة خاصة، وصيانة نفسه وخاصيته وسائر الناس عامة، من كل ذم وعيب، ومن كل عار وشنار، ومن كل قبيح وحرام.

وغيرة الرجل على المرأة خاصة هى حرصه الشديد على صيانة عرضها وشرفها وحفظ عفافها وطهرها، من أن يصاب بخدش أو طعن أو يمس بخبث أو دنس، أو يلحق بأذى أو ضر.

والغيرة بهذا المعنى أصل من أصول الدين، وصفة من أبرز صفات الرجل المسلم، وبقدر ما يزداد الرجل المسلم إيماناً بقدر ما تزداد غيرته وبالعكس، ومن لاغيرة له لا إيمان له، لهذا كان رسول الله ﷺ أغير الخلق على الأمة، والله تعالى أشد غيرة.

أخرج الشيخان عن المغيرة بن شعبة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتى لضربته بالسيف غير مُصْفِح، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: « **تعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير منى ومن أجل غيرة الله حَرَّمَ الفواحشَ ماظهرَ منها وما بطنَ... الحديث**»[1].

أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن اللهَ يَغَار وغيرة الله أن يأتى المؤمنُ ماحَرَّمَ الله**»[2].

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد باب قول النبى ﷺ: «لاشخص أغير من الله» ١٣/ ٤١١ رقم ٧٤١٦.

ومسلم فى كتاب اللعان ٢/ ١١٣٦ رقم (١٧).

وغير مُصْفِح: بكسر الفاء، أى غير ضارب بصفح السيف، وهو جانبه، بل أضربه بحده.

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح باب الغيرة ٩/ ٢٣٠ قم ٥٢٢٣.

ومسلم فى كتاب التوبة باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ٤/ ٢١١٤ رقم (٣٦). =

وذكر السمعاني في كتابه (الأنساب) ما ملخصه: قال: «قدمت امرأة إلى القاضي موسى بن إسحاق الأنصاري، قد ادعى وليها لها على زوجها خمسائة درهم مهراً، فأنكر الزوج، قال القاضي لوليها: شهودك، قال: قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود وقيل للمرأة: قومي، فقال الزوج: تفعل ماذا؟ قال: ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرة ليصح عندهم معرفتها، فقال الزوج: إني أشهد القاضي أن لها عليّ هذا المهر الذي تدَّعيه، ولا تسفر عن وجهها، فردت المرأة، وقد أُخْبِرَت بما كان من زوجها وقالت: إني أُشْهِد القاضي أني قد وهبت له هذا المهر وأبرأته منه في الدنيا والآخرة. فقال القاضي وقد أُعجب بغيرتهما: يكتب هذا في مكارم الأخلاق».

إن الغيرة بهذا المعنى النبيل تدل بشكل واضح على عظم كرامة المرأة عند الرجل المسلم، وعلى حرصه الشديد على صيانتها والحفاظ عليها. إنه يعتبر أي طعن في كرامتها طعناً في كرامته، ويعد أي امتهان لعزتها امتهاناً لعزته، وأي دنس يلوث طهارتها دنساً يلوث طهارته، ودون ذلك عنده حبل الوريد.

إنه يحب ويحرص ما استطاع، على أن تكون امرأته على أكرم وأشرف وأنبل وأطهر ما تكون عليه المرأة، في حياتها كبشر أكرمها الله بالتقوى والإيمان، والفضل والإحسان والطهر والعفاف.

إن هذه المعاني من رفعة الشرف، وطهارة العفاف، وحصانة العرض التي يتذوقها المجتمع المسلم، والتي تناسب كرامة الإنسان السنية، وفطرته الصفية، ونفسه الأبية، هذه المعاني جميعها مفقودة لدى المجتمع الغربي (أوروبا وأمريكا)، لذا لاتجد كلمة مرادفة لهذه المعاني: (العرض، الشرف العفاف) في جميع لغاتهم، والسبب في ذلك يعود لجريهم وراء شهواتهم

= والترمذي في كتاب الرضاع باب ما جاء في الغيرة ٣/ ٤٧١ رقم ١١٦٨.
وأحمد في المسند: ٢/ ٣٤٣، ٥٢٠، ٥٣٢، ٥٣٩.

العارمة، وانسياقهم خلف غرائزهم الهائمة، وانجرافهم فى تيار المادة المجردة، واللذة الجنسية الحيوانية، والخمرة المسكرة المخدرة، الأمر الذى أعمى أبصارهم وقلوبهم عن النظر والتفكر فى مثل هذه المعانى السامية والمفاهيم العالية، والأمر الذى خَدَّر إحساسهم وشعورهم من أن تتذوق طعم هذه الفضائل النبيلة والمثل الرفيعة، لقد مسخت الفضيلة من حياتهم، فمسخوا معها قردة وخنازير.

إن حياة الغيرة التى يحياها المجتمع المسلم، والتى يسمو بها فوق النجوم رفعة، ويرتقى بها إلى مصاف الملائكة فضلاً وطهراً، يقابلها فى المجتمع الغربى حياة الدياثة والخباثة والقذارة والحقارة والذلة والمهانة.

هؤلاء الملحدون يريدون أن نصبح مثلهم، فنراهم من حين لآخر يثيرون ضجة حول أمور تخص ديننا الحنيف وسنة نبينا ﷺ، ونرى إخواناً لنا من جلدتنا يساعدونهم ويمدون لهم يد العون.

وما القضية التى أثاروها منذ أيام حول الختان ببعيدة عنا، بل قد عشناها بعقولنا وأفئدتنا، وها نحن أولئك نرد عليهم لندحض مزاعمهم وأباطيلهم.

فقد أثارت شبكة (سيِ. إن. إن) الإخبارية منذ فترة، ضجة حول عملية ختان البنات، وصوروا شريط فديو لفتاة مصرية يجرى لها عملية الختان.

بل استأجروا أحد عمال الأدوات الصحية ليقوم بهذه العملية، وبموس الحلاقة حتى نظهر أمام العالم بأننا جاهلون متخلفون، وصوروا فيلماً، وعلى شاشات التلفزيون فى أنحاء العالم وفى وقت واحد أظهروا هذه المهزلة.

أقول لهؤلاء: إن بلادكم فيها من صور الخزى ما يخجل من ذكرها أى إنسان، وهى موجودة فى كل مكان حتى فى الشوارع والحدائق

والأتوبيسات وبشكل مزر ومقزز.

وأما نحن فيجب علينا ألا نحزن ولانتحرج من ذلك، فتلك شعيرة من شعائر الإسلام أمرنا بها رسولنا ﷺ، ونحن نفتخر بأن نساءنا طاهرات عفيفات، على العكس من هؤلاء الذين ينادون بالفسق والفجور والاختلاط والانحلال، ونساؤهم فاجرات ماجنات سافرات متجردات من أدنى أصول الإنسانية.

وقد قال ﷺ: **«ثَلاثَةٌ لاينظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إليهمْ يَوْمَ القيامةِ: العاقُّ لوالديهِ، وَالمرأةُ المتَرَجِلَةُ، وَالدَّيُّوثُ»**[1].

وهؤلاء نساؤهم مترجلات، ورجالهم لايغارون، وليس لديهم نخوة الرجال، هذا وقد دلت الإحصائيات التى نقرؤها فى الصحف وغيرها أن فى أمريكا يموت ما بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرض الزهرى الموروث وحده كل عام.

ويقول القاضى (لندس) أحد قضاتهم إنه يسقط فى أمريكا مليون حمل على الأقل فى كل سنة، ويقتل آلاف الأطفال من فور ولادتهم.

وفى أمريكا تبلغ نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية فى إحدى المدن ٤٨٪.

وفى أمريكا صدرت التعليمات إلى جميع مدارس نيويورك بإنشاء غرفة ولادة فى كل مدرسة.

---

(١) أخرجه النسائى فى كتاب الزكاة باب المنان بما أعطى ٥/ ٨٠.
وأحمد فى المسند: ٢/ ١٣٤ كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه.
وذكره السيوطى فى الجامع الصغير ١/ ٢١٥ رقم ٣٥٤٢ وعزاه لأحمد والنسائى والحاكم جميعاً عن ابن عمر وصححه.
والمترجلة: التى تتشبه بالرجال فى زيهم وهيئاتهم.
والديوث: هو الذى لاغيرة له على أهله، وقيل: هو سريانى معرب.

وفى روسيا وألمانيا شعار تتناقله الألسن وهو: عار على البنت الروسية والألمانية أن تبقى بكراً، وأدوات منع الحمل موجودة فى كل طريق.

وفى السويد: انخفاض مستمر فى نسبة المتزوجين إلى غير المتزوجين وارتفاع مستمر فى عدد المواليد غير الشرعيين، مع ملاحظة أن ٢٠٪ من البالغين من الأولاد والبنات لايتزوجون أبداً.

وأثبت الإحصاء أن ٧٥٪ من الشعب الإيطالى يفضلون قراءة مجلات الجنس وشرائطه، أكثر من اهتمامهم بالصحف السياسية اليومية، وأكد الإحصاء أيضاً أن مؤسسات نشر هذه الكتب والمجلات تعتبر من أضخم المؤسسات فى إيطاليا.

وفى الشرق والغرب عامة: صار الجنس وعملياته شيئاً يرافق الفرد الأوربى أينما وجد، وحيثما كان فى حله وترحاله، وفى جميع جوانب حياته، حتى غدا شيئاً مألوفاً ومتعارفاً عليه.

وعموماً فإن الحياة المادية المحضة هى التى تسود الشرق والغرب وأصبح هدف الناس الوحيد هو تأمين المال والخمرة واللذة، دون أى اهتمام للقيم الإنسانية والكرامة الآدمية.

ففى تلك المجتمعات تجد:

- الشباب الشارد السارد والمخمور فى الخمر والشم.
- الجيل المتحلل المائع المريض جسمياً وعقلياً ونفسياً.
- عصابات القتل والخطف والاغتصاب الجنسى.
- عصابات التهريب للمخدرات كالأفيون والحشيش والهروين وغيرها.
- تجار الشهوات والغرائز وبيع الفتيات وتأجير البغايا.

- عصابات من الأطباء والمحامين ورجال القانون لتغطية الجرائم وهضم الحقوق مقابل الرشوة المالية والجنسية.

- نوادى العراة يتعرى فيها روادها من كل رداء دون حياء.

- أفواج العاهرات والمومسات يحترفن الزنى لكسب الكفاف.

- الأغانى الفاحشة والموسيقى المثيرة والأفلام المهيجة.

- شرائط ومجلات الجنس والعرى، ومسارح الرقص والمجون.

- إباحيون مستهترون يكفرون بكل فضيلة، ويبيحون كل رذيلة ويسيرون مع الهوى والأهواء.

إلى غير ذلك من مظاهر الشر والفساد مما لايمكن عدها وحصرها.

هذا ما صارت إليه المجتمعات الأوربية شرقية وغربية، بسبب الإباحية والاختلاط والتبرج واللاإنسانية والبعد عن تعاليم الله، وهو كما علمت مصير مخز وخطير مؤلم ومرير.

فكم البشرية اليوم بحاجة إلى تعاليم الإسلام، ليحفظ لها كرامتها الآدمية بعد أن انحطت إلى مستوى الحيوان، وليمنحها أمنها وسلامها وسكينتها وطمأنينتها، بعد ما وصلت إليه من خوف ورعب وقلق وهذيان.

والعالم اليوم بحاجة إلى الإسلام ليهديه إلى الإيمان، ويدله على الخير، ويصرفه عن الشر، ويعرفه بالله رب العالمين، بعد أن ضل طريق الهدى وضاع، لايعرف الخير من الشر، وجهل ربه ودينه فلم يعرف ربه حق المعرفة ، ولم يطلع على دينه حق الاطلاع.

وإلى القارئ الكريم نماذج من الاستعفاف من تراثنا لكى تلحظ الفارق العظيم بين ما عليه هؤلاء الملاحدة وما يلزمنا به ديننا، وما كان عليه السلف الصالح.

(د) نماذج الاستعفاف

الأول: سيدنا يوسف عليه السلام

(شاب في ريعان الشباب، مكتمل الرجولة، رائع الفتوة، تدعوه إلى نفسها امرأة ذات منصب وجمال، والأبواب مغلقة، والسبل ميسرة كما حكى القرآن الكريم: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

فماذا كان موقفه أمام هذا الإغراء، وتلك الفتنة التي تخطف الأبصار هل لانت نفسه فاستسلم وخان عرضاً اؤتمن عليه؟ كلا؛ إنما قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ولقد حاولت امرأة العزيز بكيدها ومكرها، وبكل ما لديها من ألوان الإغراء والتهديد أن تذيب من صلابته، وتضعضع من شموخه، وأعلنت ذلك للنسوة في ضيق وغيظ: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

ولكن الشاب يوسف عليه السلام اتجه بكليته إلى الله يسأله المعونة والعصمة ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

كانت فتنة بين ضمير المؤمن وخشيته الربانية ومغريات الإثم ففشلت المغريات وانتصر الإيمان[1].

ولنا بعض الوقفات مع هذا الموقف:

الوقفة الأولى: أن الاستغاثة بالله واللجوء إليه والاستعاذة به والفرار إليه هي من أقوى أسباب العفة والنجاة من الخطيئة، ولقد تجلى ذلك في

(١) مسؤلية التربية الجنسية ـ عبد الله علوان صـ١٢١ـ.

قوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾[يوسف: ٢٣]. وقال أبو السعود: وهذا إشارة إلى أنه منكر هائل يجب أن يعاذ بالله تعالى للخلاص منه»[1].

كما ظهر ذلك فى مناجاته عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]. فظهرت ثمار الاستجابة الربانية﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وهذا التابعى الجليل عامر بن عبد الله يدعو الله أن يعصمه فيقول: «لم يكن شيء أخوف عليّ فى دينى من النساء، فسألت ربى أن ينزع من قلبى حبهن[2] فاستجاب لى حتى صرت لاأبالى امرأة رأيت أم جداراً»[3].

الوقفة الثانية: عدم الاغترار بالنفس، والركون إلى ما لديها من الإيمان والتقوى وعدم الثقة الزائدة بها، مما يجرىء على اقتحام الفتن والخوض بها على أمل عدم الافتتان.. بل إن الأولى فى حق المؤمن هو اتهام النفس والخوف من انزلاقها حتى تبقى جذوة الإيمان مشتعلة، ويبقى الحذر دائما، ويكون الاعتزال وترك مواطن الفتنة هو سبيل الوقاية، وقد ظهر ذلك في قوله عليه السلام وهو نبى الله وصفوته من خلقه﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِن...﴾ [يوسف: ٣٣].

الوقفة الثالثة: حول قضية ﴿همَّت به وهمَّ بها﴾: فإن من الأقوال الراجحة والتى تستقيم مع مقام النبوة وسياق الآيات فى قوله: ﴿**ولقد**

(١) صفوة التفاسير جـ ٢ صـ٨٦ـ.

(٢) لعل المقصود الافتتان بالنساء اللاتى لا يحللن له.

(٣) صور من حياة التابعين جـ ٢ صـ١٩٣ـ.

همَّت به﴾ أى: همت بمخالطته عن عزم وقصد وتصميم، وأما قوله تعالى: ﴿وهم بها﴾ فقد قيل:

* أى مالت نفسه بمقتضى الطبيعة البشرية دون عزم وقصد[1] قال الإمام الفخر الرازى: «ألهم خطور الشى بالبال، أو ميل الطبع كالصائم فى الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على الميل إليه وطلب شربه ولكن يمنعه دينه عنه».

* وقال صاحب«البحر»: أن ألهمَّ لم يقع من يوسف عليه السلام البتة بل هو منتفى لوجود رؤية البرهان كما تقول: «قارفت الذنب لولا أن عصمك الله» وكقول العرب: «أنت ظالم إن فعلت» وتقديره: إن فعلت فأنت ظالم، وكذلك هنا التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ولكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم.

الوقفة الرابعة: التساهل فى دخول الرجال والخدم للبيوت من أسباب وقوع كثير من الحوادث التى تسببت فى انتهاك الأعراض، سواء من المرأة أو الرجل، كما أن ضعف الغيرة لدى الرجل على عرضه من دواعى جرأة المرأة وتحللها من سترها، ويظهر أن العزيز كان من هذا الصنف من الرجال، قال ابن كثير: «كان زوجها لين العريكة سهلاً، أو أنه عذرها لأنها رأت ما لا صبر لها عنه»[2].

الوقفة الخامسة: الصحبة السيئة من أسباب انحراف المرء، وظهر ذلك فى دعوة نسوة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام بأن يطاوعها فيما أرادت بعد أن رأينه، وبعد أن صرحت هى لهن برغبتها الشاذة﴿ **وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**﴾ [يوسف: ٣٢]. فما كان منهن إلا أن شاركنها بالرغبة وظهر ذلك فى قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ**﴾ [يوسف: ٣٣].

---

(١) صفوة التفاسير جـ ٢ صـ١٠٦ـ.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٢/ ١٢٦.

في حين أنهن لو كُنَّ صالحات لنصحنها وذكرنّها بالله، بل ووبخنها على فعلتها وهجرن مجلسها أن أصرت، وربما كان في ذلك رادعاً لها.

الثاني: شبيه سيدنا يوسف:[1]

كان فتى من أهل المدينة يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر يتفقده إذا غاب، فعشقته امرأة من أهل المدينة، فذكرت ذلك لبعض نسائها، فقالت: أنا أحتال لك في إدخاله عليك، فقعدت له في الطريق، فلما مر بها قالت له: إني امرأة كبيرة السن، ولي شاة لا أستطيع أن أحلبها، فلو دخلت فحلبتها لي، وكانوا أحرص ما يكون على الخير، فدخل فلم ير شاة، فقالت: اجلس حتى آتيك بها، فإذا المرأة قد طلعت عليه، فلما رأى ذلك عمد إلى محراب في البيت فقعد فيه، فأرادته عن نفسه فأبى، وقال: اتق الله أيتها المرأة، فرجعت لا تكف عنه ولا تلتفت إلى قوله، فلما أبى عليها صاحت عليه، فجاءوا فقالت: إن هذا الرجل دخل عليَّ يريدني عن نفسي، فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه، وأوثقوه.. فلما كان الغداة وصلى عمر بالناس فقده، فبينما هو كذلك إذ جاءوا به في وثاق، فلما رآه عمر قال: اللهم لا تخلف ظني فيه، قال: مالكم؟ قالوا: استغاثت امرأة بالليل فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها فضربناه وأوثقناه، فقال عمر رضي الله عنه: أصدقني..، فأخبره بالقصة على وجهها، فقال له عمر: أتعرف العجوز؟ فقال: نعم إن رأيتها عرفتها، فأرسل عمر إلى نساء جيرانها وعجائزهن فجاء بهن، فعرضهن فلم يعرفها فيهن، حتى مرت العجوز فقال: هذه يا أمير المؤمنين، فرفع عليها الدِّرَّة وقال: أصدقيني، فقصّت عليه القصة كما قصها الفتى، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف عليه السلام.

---

(١) روضة المحبين ـ ابن القيم صـ١٢٣ـ.

الثالث: «اتق الله ..»:

رجل من الثلاثة الذين دخلوا إلى غار، فانحدرت من الجبل صخرة فسدّت عليهم الغار، فقالوا: لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال ذلك الرجل فى الحديث المتفق عليه:

«اللهم إنه كانت لى ابنة عم، كانت أحبُّ الناس إلىَّ - وفى رواية - وكنت أحبها كأشد مما يحب الرجال النساء، فراودتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتنى لعشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها - وفى رواية - فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلىَّ، وتركت الذهب الذى أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة»[1].

فهذا رجل قد أوشك على مقارفة الفاحشة، ولم يبق بينه وبينها إلا شيء يسير، ولكن الإيمان فى قلبه تيقظ بكلمة«اتق الله» فانتبه إلى قبح ما هو مقدم عليه، وتذكر الله فوقه، ينظر إليه، فانتصر الإيمان على الشهوة وقام عنها وهى أحب الناس إليه.

فيالله .. ما للإيمان من سمو ورفعة وعزيمة وصلابة، ترفع الإنسان من حضيض الشهوة إلى علو العفاف والطاعة والطهارة.

الرابع الفدائى العفيف:

وهذه قصة لصحابى هو مرثد بن أبى مرثد تحكى نموذجاً للعفة: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال: له مرثد بن أبى

---

(١) أخرجه البخارى فى البيوع ٤/ ٤٧٧ رقم ٢٢١٥ مطولاً.
- ومسلم فى كتاب الذكر حديث رقم (١٠٠).
- وأحمد ٣/ ٤٨٢.

مرثد الغنوى، وكان رجلاً يحمل الأسارى من مكة حتى يأتى بهم المدينة، قال: وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها: عناق، وكانت صديقة له فى الجاهلية، وأنه واعد رجلاً من أسارى مكة يحمله قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة فى ليلة مقمرة، قال: فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلى تحت الحائط. فلما انتهت إلىّ، عرفتنى فقالت: مرثد؟ فقلت: مرثد. فقالت: «مرحباً وأهلاً هذه فبت عندنا الليلة» قال: فقلت: يا عناق حرم الله الزنا، فقالت: «يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم» قال: فتبعنى ثمانية ودخلت الحديقة فانتهيت إلى غار، أو كهف، فدخلت فيه، فجاؤوا حتى قاموا على رأسى، فبالوا فظل بولهم على رأسى، فأعماهم الله عنى، ثم رجعوا فرجعت إلى صاحبى فحملته وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهيت إلى الإذخر، ففككت عنه أحبله، فجعلت أحمله ويعيننى حتى أتيت به المدينة، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله: « أنكح عناقا؟ أنكح عناقا؟» - مرتين - فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد علىّ شيئاً حتى نزلت﴿ **الزَّانى لا يَنكِحُ إلا زَانيَة..**﴾ [النور: ٣]. فقال رسول الله ﷺ «**يامرثد، الزانى لا ينكح إلا زانيَة أو مشركة فلا تنكحها**» (١).

فهو على الرغم من الشدة والمحنة التى لحقت به.. وعلى الرغم من حبه لتلك المرأة بدليل أنه استأذن رسول الله ، بنكاحها .. وعلى الرغم من أنها هى التى دعته، وكان بإمكانه أن ينجو بنفسه ويستتر عن القوم عندها، إلا أنه قالها بكل صراحة: «يا عناق حرم الله الزنا» ولم يرض حتى باللجوء لبيتها، بل قطع دابر الفتنة والشبهة وقالها بقولة المؤمن العفيف.

---

(١) أخرجه أبو داود فى النكاح باب فى قوله تعالى: ﴿**الزانى لا ينكح إلا زانية**﴾ ٢/ ٢٢٧ رقم ٢٠٥١، والترمذى فى تفسير القرآن باب ومن سورة النور ٥/ ٣٠٧ رقم ٣١٧٧ وقال: هذا حديث حسن، والنسائى فى النكاح باب تزويج الزانية ٦/ ٦٦.

الخامس: الصاحب العفيف:

رجل يرافق امرأة هجرتها أياماً متتالية، ويضرب مثالاً لعفة الرجال وشهامتهم، تلك هى أم سلمة تروى قصة هجرتها فتقول: «وحبسنى بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة، قالت: ففرّق بينى وبين ابنى، وبين زوجى، قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس فى الأبطح، فما أزال أبكى حتى أمسى سنة أو قريباً منها، حتى مرّ بى رجل من بنى عمى ـ أحد بنى المغيرة ـ فرأى ما بى فرحمنى. فقال لبنى المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟ قالت: فقالوا لى: الحقى بزوجك إن شئت. فقالت: فردّ بنو عبد الأسد إلىّ عند ذلك ابنى. قالت: فارتحلت بعيرى، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة. قالت: وما معى أحد من خلق الله، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار. فقال: إلى أين يا ابنة أبى أمية؟ قلت: أريد زوجى بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قلت: ما معى أحد إلا الله وبنى هذا. فقال: والله مالك من مترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معى يهوى بى[1]، فوالله! ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه. كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر، عنى حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه، ثم قيده فى الشجر، ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عنى وقال: اركبى، فإذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة . فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك فى هذه القرية ـ وكان أبو سلمة بها نازلاً ـ فادخليها على بركة الله. فكانت أم سلمة تحفظها له وتقول: «مارأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة»[2].

---

(١) أى يسرع بي.

(٢) حياة الصحابة جـ ١ صـ١٨٣ـ.

السادس: صبر وعفاف[1]

بعث عبد الملك بن مروان بعثاً إلى اليمن فأقاموا سنين حتى إذا كان ذات ليلة وهو بدمشق قال: والله لا عسّن الليلة المدينة (دمشق) ولأسمعن الناس ماذا يقولون فى البعث الذى أغزيت فيه رجالهم، وأغرمتهم أموالهم.

فبينما هو فى أزقتها إذا هو بصوت امرأة قائمة تصلى فتسمع إليها فلما انصرفت إلى مضجعها قالت: اللهم مسير النُّجب، ومُنزِّل الكتب ومعطى الرغب، أسألك أن ترد لى غائبى فتكشف به همى، وتقر به عينى، وأسألك أن تحكم بينى وبين عبد الملك بن مروان الذى فعل بنا هذا، ثم أنشدت تقول:

تطاول هذا الليل فالعين تدمع ... وأرقنى حزن لقلبى موجع

فبتُّ أقاسى الليل أرعى نجومه ... وبات فؤادى بالهوى يتقطع

إذا ما تذكرت الذى كان بيننا ... وجدت فؤادى حسرة يتصدع

وكل حبيب ذاكر لحبيبه ... يرجى هواه كل يوم ويطمع

فذا العرش فرج من صبابتى ... فأنت الذى تدعو العباد فيسمع

دعوتك فى السراء والضرِّ دعوة ... على حاجة بين الشراسيف تلذع

فقال عبد الملك لحاجبه: تعرف هذا المنزل؟ قال: نعم، هذا منزل يزيد بن سنان، قال: فما المرأة منه؟ قال: زوجته، فلما أصبح سأل: كم تصبر المرأة عن زوجها؟ قالوا: ستة أشهر.

فهذه المرأة العفيفة لم تجد لها ملجئاً وملاذاً إلا ربها ومولاها تشكو إليه حاجتها وفراق زوجها عنها وتستعين على ذلك بالصبر والصلاة والدعاء.

---

(١) «بانتظار حورية من الجنة» صـ٢٣ـ.

السابع: « ... إذا مسهم طآئف من الشيطان تذكروا.. »[1]

عن الحسن البصرى قال: كان بالمدينة فتى يعجب عمر بن الخطاب رضى الله عنه شأنه.. فانصرف ليلة فى صلاة العشاء فتمثلت له امرأة بين يديه.. فعرضت له بنفسها ففتن بها، ومضت فاتبعها حتى وقف على بابها، فأبصر وجلاً عن قلبه.. وحضرته هذه الآية﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] فخر مغشياً عليه.

فنظرت إليه المرأة فإذا هو كالميت، فلم تزل به هى والجارية حتى ألقياه على باب داره، فخرج أبوه فرآه ملقياً على باب الدار.. فحمله وأدخله فأفاق فسأله: ما أصابك يا بنى؟ فلم يخبره، فلم يزل به حتى أخبره، فلما تلا الآية شهق شهقة فخرجت نفسه.

فبلغ عمر رضى الله عنه قصته، فقال: ألا آذنتمونى بموته؟! .. فذهب حتى وقف على قبره فنادى: يا فلان ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمـن ٤٦] فسمع صوتاً من داخل القبر: قد أعطانى ربى يا عمر.

الثامن: إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم[2].

عن إبراهيم النخعى قال: كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد.. فنزل فى جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها وهام بها عقله، ونزل بالجارية ما نزل بالفتى.. فأرسل يخطبها من أبيها.. فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها.. فلما اشتد عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى، أرسلت إليه الجارية.

«قد بلغنى شدة محبتك لى، وقد اشتد بلائى بك، فإن شئت

---

(١) بانتظاره«حورية من الجنة» صـ٢٤ـ.

(٢) بانتظار «حورية من الجنة» صـ٢٤ـ.

زرتك، وإن شئت سهلت لك أن تأتينى إلى بيتى». فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الخلتين: ﴿إنى أخاف إنّ عصيت ربى عذاب يوم عظيم﴾ [الأنعام: ١٥]. أخاف ناراً لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهيبها فلما أبلغها الرسول قوله قالت: وأراه مع هذا يخاف الله؟! والله ما أحد أحق بهذا من أحد، وإن العباد فيه لمشتركون، ثم انخلعت من الدنيا وألقت علائقها خلف ظهرها وجعلت تتعبد.

التاسع: «إنى أخاف الله رب العالمين»:

ومن العصر الحديث تظهر لنا نماذج العفة كثمار طيبة للدعوة الإسلامية فى القرن العشرين، فيذكر الإمام حسن البنا رحمه الله فى (مذكرات الدعوة والداعية) عن ذلك فيقول: «وهذا الأخ عبد العزيز علام البنى الهندى الذى يعمل«ترزياً» فى المعسكر الإنجليزى، تدعوه زوجة أحد كبار الضباط لبعض الأعمال الخارجية بمهنته لتنفرد به فى المنزل وتغريه بكل أنواع المغريات، فيعظها وينصح لها ثم يخوفها ويزجرها، فتهدد بعكس القضية تارة وبتصويب المسدس إلى صدره تارة أخرى، وهو مع ذلك لا يتزحزح عن موقفه قائلاً: (إنى أخاف الله رب العالمين) وكم كان جميلاً ومضحكاً فى وقت واحد أن توهمه فى إصرار أنها قد قررت قتله وستعتذر عن ذلك بأنه هاجمها فى منزلها وهمّ بها، وتصوب المسدس إليه فيغمض عينيه ويصرخ فى يقين: «**لا إله إلا الله محمد رسول الله**» فتفاجئها الصيحة ويسقط المسدس على الأرض ويسقط فى يدها، فلا ترى إلا أن تدفعه بكلتا يديها إلى الخارج.

هكذا كان أولئك الإخوان، وحوادثهم فى هذه المعانى كثيرة، ومن أجل ذلك بارك الله الدعوة التى استنارت بها مثل هذه القلوب وصدق الله العظيم﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ**

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥][(١)].

العاشر: المحب العفيف:

ذكر الأستاذ محمود النجيرى فى كتاب «بانتظار حورية من الجنة» هذه الرواية: حدَّثنى بعض إخوانى قال:

نشأنا سوياً منذ نعومة أظافرنا، فقد جمع عائلتينا علائق الود والصفاء، وكنت أنا أرتع معها فى براءة الطفولة، وأشاركها لعبها ولهوها الغض.

ودارت بنا الأيام على تلك الحال، حتى انسلخنا من عهد الطفولة الرخى، وبدأنا ندخل عهداً جديداً فى ألوانه وإحساسانه ومشاهده.

بدأت هى تظهر عليها ملامح الأنوثة الفياضة، وأنا أدخل فى طور الشباب، وطبيعة الحال فقد حجبها أهلها، ولم يعد ير أحدنا الآخر إلا لماماً.

وافتقدتها كرفيقة اعتدت صحبتها دوماً، وظننت أنى لا آبه لفراقها، إلا أننى لمست فى نفسى ميلاً جارفاً نحوها، وحباً عارماً لشخصها، كيف وقد درجنا سوياً، ونمت عواطفنا مع نماء أجسادنا، كنت أعلم يقيناً أنها تحبنى أيضاً، لكننى عففت، وحفظنى عقلى فسكت، وتوجهت إلى ربى بكل كيانى ونفسى، أرعى حرمه، والتزم حدوده وانتهج شرعه، وعزمت فى نفسى أن أتزوجها حينما يتيسر الأمر.

والحق أننى جاهدت نفسى جهاداً طويلاً حتى أقمع ذلك الشوق الجارف إليها، وألطف من ذلك الحنوّ العظيم نحوها، وربط الله على قلبى وألهمنى الصبر.

وعِفَّ فى الحُبِّ ولا تبدِه ... واصبر وكاتم غاية الجهد
فإن تمت محتبساً صابراً ... تفز غداً فى جنة الخلد

(١) مذكرات الدعوة والداعية ص ٧٦.

وذات يوم وبينما أنا فى بيتى وليس فيه غيرى، إذ دخلت على هى بجمالها وبهائها، بجلالها وعنفوانها .. واتجهت صوبى باسطة كفها وتخطف بصرى جمالها الأخاذ وسحرها الفتَّان، وهممت بمصافحتها والإقبال عليها، لكننى تذكرت أن هذا ليس من حقى، فغضضت من طرفى، وجمدت يدى وأردت لها عطفى وقلت: ليس أحد بالمنزل، أوما تعلمين ذلك، فأجابت فى صوت متهدج متقطع: «بلى، أعلم ذلك جيداً، ولذا أتيت، إنك لا تدرى ما أصابنى بعدك، إننى، إننى» وانقطع كلامها ببوادر بكاء.

ووقفت جامداً لا أدرى ما أقول وما أفعل.. وظللت للحظة أدافع نفسى عن أشياء كثيرة أرادتها، لقد كانت هذه الخلوة وضعاً خاطئاً، ثم إن الشيطان قد بدأ ينسج خيوطه، ويروى ناره، يحب ألا أهن منذ البداية وأن أقطع دابر الغواية، فترفقت وقلت لها: «لا أحد بالمنزل، هل تفهمين؟ لا أحد بالمنزل.»

كنت أعلم أن كلامى سيكون وقعه شديداً عليها، ولكن لا مخرج إلا بذاك، وصح ظنى فقد استدارت محنقة وخرجت. فحمدت الله، وتمثلت قول الشاعر:

واســـــوأتا لفتىّ لـــه أدب   يضَحْـــــى هـــواهُ قاهراً أدبَه
يأتى الدنيّة وهـــو يَعرِفُهـــا   فيشـين عـــرضًا صائنًا أربَـــه
فإذا ارعوى عادت بصيرتَهُ   فبكى على الحين الذى سُلِبَه[1]

---

(١) انظر كتاب العفة ص ١١٤.

(هـ) إلى دعاة الحرية المزيفة

حياة الحرية الحقة هى حياة الإنسان بفطرته البشرية الخيرة، وجبلته الآدمية الكريمة، وطبعه الإنسانى الرفيع، فى الظلال الوريفة الأليفة للأمن والسلام، وفى الرياض الخضرة النضرة للعز والإكرام، وفى النسمات الوديعة اللطيفة للتقدير والاحترام.

سواء أكان فرداً أم أسرة أم أمة أم دولة.

وما من إنسان سليم فى عقله وتفكيره، مطمئن فى نفسه وضميره طاهر فى روحه وسريرته، إلا ويتعشق الحرية الحقة ويهواها، ينشد بنشيدها ويتغنى بغناها يتلذذ بحديثها ويتشهى لمعناها، يعيش حياته سعياً وجهاداً لبلوغ علاها.

فما الحرية وما معناها؟ وما حقيقتها ومغزاها؟ وماحدودها وحماها؟ وإلى أى مدى بعدها ومرماها؟.

هذا ما يجب أن يعلمه كل عاقل، ويتعلمه كل جاهل، ويسعى لتحقيقه كل ساع، ويجاهد لإيجاده كل مجاهد،ليس لأحد من البشر فيه ذرة من عقل وتفكير، أو شيء من حكمة وتدبير، أو مسحة من شرف أو ضمير، أن يدعى ويتبجح، ويقول ويتفصح: بأن الحرية هى أن يحيا الإنسان حراً فى كل شيء، أخلاقه وسلوكه، أفكاره ومعتقداته أعماله وأفعاله، يفعل مايشاء ويترك ما يريد، يأخذ ما يهوى ويدع ما يشتهى، يؤمن أو يكفر، يصدق أو يكذب، يثبت أو ينفى، يختار أو يترك. دون حد أو قيد، وبلا ضابط أو ناظم، وبغير تشريع أو قانون سواء كان نازلاً من السماء أو نابعاً من الأرض، أو أخبر به الرسل أو نطق به الحكماء أو أقره العلم أو وافقه المنطق.

والبشر فيهم القوى وفيهم الضعيف، فيهم الذكى وفيهم الغبى، فيهم الطيب وفيهم الخبيث.

فلو أخذت الحرية بهذا المعنى المذكور لسطا الأقوياء، وبغى السفهاء ولطغى الجبابرة وعبث الجهلاء، ولقب الحق باطلاً والباطل حقاً، ولعكس النور ظلاماً والظلام نوراً، فلا أمان على نفس أو مال، ولاحفاظ على عرض أو شرف، ولاحرمة لدين أو إيمان ولاصيانة لقدر أو كيان، ولا استقرار لعيش أو حياة.

وهل يكون حراً من يحيا هذه الحياة؟

لاشك أن من يدعو لمثل هذه الحرية المزيفة، حرية الحيوانات فى البوادى والغابات والجبال والوديان، ليس بإنسان وإن كان يشبه فى هيكله وصورته الإنسان، فالهيكل لايغنى عن المدخل، والمظهر لايغنى عن الجوهر.

والإنسان إنسان بعقله وفكره، وحكمته وتدبيره، وحسه وشعوره وإيمانه وعمله وأخلاقه وسلوكه، لابطول أو عرض، ولا بشكل أو لون ولابجمال أو قبح.

إن الحرية بدون حد وقيد، وبدون ضابط وناظم، وبدون مسؤلية أو محاسبة لاتوجد إلا لدى الحيوان فاقد العقل والتمييز، معدوم الفهم والإدراك.

فشتان شتان ما بين حرية الإنسان وحرية الحيوان، حرية العاقل وحرية المجنون، حرية المميز وحرية المخلط.

إن الشرائع والقوانين لم تشرع ولم تقنن إلا لتحقيق مصالح الناس فى أفرادهم وأسرهم ومجتمعاتهم وحكوماتهم، ولدرء المفاسد عنهم جميعاً.

فمن تعدى حدودها، وتخطى قيودها، وانتهك حماها باسم الحرية المزيفة والتحرر المنحرف فقد تعدى وظلم، وأساء وأجرم فى حق نفسه وأسرته ومجتمعه وأمته وحكومته ودولته، إن أدعياء الحرية فى عصرنا هذا أمرهم عجيب، ووضعهم غريب، وحالهم مريب، تراهم يدعون أنهم أساطين العلم فيها وهم أجهل الناس بها، ويتبجحون تبجح المغرور برفع شأنها وهم أهدم الناس لكيانها، ويتخيلون تخيل الواهم أنهم يشيدون بناءها وهم يقوضون أركانها.

يقول قائلهم: إنه متحرر فى عالم السياسة وهو محكوم بالدكتاتوريات الفردية والتسلطات الحزبية. ويقول: إنه متحرر فى عالم الاقتصاد وهو محروم من ضرورات الطعام والشراب والملبس والمسكن.

ويقول: إنه متحرر فى عالم النفس، وهو يعيش الغش والخداع والمكر والاحتيال.

ويقول: إنه متحرر فى عالم الدين والإيمان، وهو مستعبد للدنيا بجميع شهواتها ومغرياتها.

ويقول: إنه متحرر فى عالم الفكر، وهو يعيش الخطأ والانحراف ويتلقى الكذب والدجل.

ويقول: إنه متحرر فى عالم السلوك والأخلاق، وهو يعيش الوقاحة والسفه والفحش والمنكر.

ويقول: إنه متحرر من كل شىء وهو عبد لكل شىء.

إن الحرية فى نظر أدعيائها فى عصرنا هذا هى:

* التخلى عن قيود الأخلاق والتقاليد مهما كانت لاعتبارها فى نظرهم الأحول قيوداً من تراث الماضى العتيق، وكأن الماضى لا يحمل فى طياته إلا الشر، ليحيا الإنسان أسير الهمجية العشواء والشهوانية الهوجاء.

* الانسلاخ من جميع الروابط الإنسانية الروحية والمعنوية والفكرية

وكأن الناس لم يتناسلوا من بعضهم، ولم يتعاونوا فيما بينهم، ليحيا الإنسانِ أسير الأنانية الفردية والهوى النفسى والمادة الجامدة، لايلتقى مع الغير إلا حيث المنفعة المادية العاجلة، والمتاع الجنسى القريب، فالحب والإخاء والتعاون والإحسان والرحمة والإيثار وغيرها من المعانى الإنسانية الرفيعة لاوجود لها ولا اعتبار عند هؤلاء، لقد حرموا أنفسهم منها ويريدون أن يحرموا منها الناس جميعاً.

* هى الخروج على جميع الحقائق الدينية والعلمية، وعلى جميع البدهيات والمسلمات العقلية، لاعتبارها فى تفكيرهم الأعمى شيئاً آخر غير الواقع الحسى الملموس، فلا يؤمنون إلا بالمحسوس مع أن إحساسهم معدوم، ولايوقنون إلا بالملموس مع أن لمسهم مخدر، ليحيا الإنسان أسير الواقع ولو كان مراً علقماً، رهين المادة الجامدة ولو كانت سماً قتالاً حبيس المناخ ولو كان محزناً أليماً، لجيم الطريق ولو كان متعرجاً ملتوياً أو محرفاً زلقاً.

* هى الوقوف إزاء الخير والشر موقف المخير فى فعل الخير أو تركه دون أى تأنيب أو لوم، ودون أى تردد أو حرج، ولو زال الخير وانعدم وعم الشر وطمّ، لاعتبار الخير والشر حسب عقلهم القاصر أمرين اعتباريين لايقومان على أساس ، وقد يتحول الخير كله إلى شر، والحق كله إلى باطل، وهذا منتهى السفه والحمق والجهل، إلى غير ذلك من معانى الحرية فى نظر أدعيائها فى عصرنا الحاضر.

إن الحرية بهذا المعنى المنكوس، وبهذا المفهوم المعكوس لحرية مزيفة حقاً، ومنحرفة قطعاً تسلخ الإنسان من آدميته الكريمة وإنسانيته الرفيعة وتنحط به إلى دركات الحيوانية الحمقاء، وسفالات البهيمية الطائشة وتجعله عبد شهواته وهواه، وسجين أنانيته ونفسه، وأسير واقعه وبيئته.

تجره الشهوه بأهون الخيوط وأدقها، وينجر معها بيسر وسهولة ولو نحو حتفه وهلاكه، وتسحبه أنانيته بأقل قوة وأضعفها، وينسحب معها

برغبة وطواعية ولو نحو خرابه ودماره، ويقعده واقعه ويثقله إلى الأرض ولو على الوحل النجس والشوك الوخز والجمر المحرق.

ومتى كان حرًا أسير الشهوة والهوى، سجين الأنانية والفردية، رقيق المادية والمنفعة، وإمعة البيئة الفاسدة والواقع المنحرف، وصار فى زمرة الطغاة والعتاة والفسقة والظالمين.

إن الحرية بهذا المعنى هى الهمجية الضالة بأوسع مجالاتها وحلباتها وهى الفوضى العارمة بأبعد مراميها وأبعادها، وهى الوحشية الكاسرة بأحدِّ أنيابها وأقطع مخالبها، وهى الجنون الأعمى الدافع إلى الهاوية والجاذب نحو الداهية.

إن الحرية الحقيقية التى تليق بالإنسان المكرم كما تعلمناها من رسالة الإسلام، هى الخلاص من جميع قيود الشر والفساد، وانفساح المجال للانطلاق فى جميع سبل الخير والصلاح، دون أى عائق يعوق، أو أى حائل يحول.

والإنسان الحر حقيقة هو الخالص من جميع قيود الشر والفساد والماضى فى جميع سبل الخير والرشاد.

وهو الواقف إزاء رغبات النفس ونزوات الجنس موقف العاقل الحكيم والمميز الرزين ليضع كل شيء فى مكانه اللائق، ووضعه الموافق، دون أن تطغى رغبة على حق، أو أن تتعدى نزوة على حد.

وهو السليم فى عقله وتفكيره، إذ لا حرية مع فساد العقل والتفكير.

وهو المستقيم فى تصوره واعتقاده، إذ لا حرية مع سوء الخلق والسلوك.

وهو الطيب فى كسبه وإنفاقه، إذ لا حرية مع الكسب الخبيث والإنفاق الخبيث.

وهو المخلص لله فى نيته وطويته، إذ لاحرية مع سوء النية وفساد الطوية.

وهو المستسلم لله تعالى بكل شىء، إذ لاحرية مع الخضوع للدنيا والتثاقل إلى الأرض.

وهو العابد لله تعالى وحده، إذ لاحرية مع الشرك.

وهو الملتزم لأمر الله وحكمه، إذ لاحرية مع الالتزام لأمر البشر وحكمهم.

هذا هو مفهوم الحرية كما تعلمنا من الإسلام، وهذه هى صفات المسلم الحر الذى يغار على أهله، والذى يلتزم طريق الإسلام وهديه وتعاليمه طريقاً له.

قال تعالى: ﴿فَفِروآ إِلَى الله إِنى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ. وَلاَ تَجْعَلُوا مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ إِنِى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مبِينٌ﴾ [سورة الذاريات: ٥٠، ٥١].

فهل آن لأدعياء الحرية المزيفة والتحرر المنحرف أن يفهموا الحرية على معناها الحقيقى، ويعرفوها على وجهها الجلى؟ وهل آن للشباب المحروم الذى لم يذق بعد طعم الحرية الحقة أن يتذوقها ويشب على غذائها النافع اللذيذ؟

وهل آن لهذه الأمة المخدوعة بالأكاذيب والأباطيل، والغافلة عن الحق المبين أن تنتبه من غفلتها وتفيق من رقادها؟

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَذِينَ آمَنُوآ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهَمْ لِذكرِ اللّه وَمَا نَزَلَ مِنَ الحق وَلاَ يَكُونُوا كَالَذِينَ أُوتُوا الكتابَ مِنْ قبلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة الحديد الآية ١٧].

الثالث عشر

(خلاصة البحث)

سبق وبينا فى «مشروعية الختان» بأنه من محاسن الشرائع التى شرعها الله سبحانه لعباده، وكمل بها محاسنهم الظاهرة والباطنة، فهو مكمل الفطرة التى فطرهم عليها، ولهذا كان من تمام الحنيفية ملة إبراهيم وأصل مشروعية الختان لتكميل الحنيفية، فإن الله عز وجل لما عاهد إبراهيم وعده أن يجعله للناس إماماً، ووعده أن يكون أباً لشعوب كثيرة وأن تكون الأنبياء والملوك من صلبه، وأن يكونوا من نسله، وأخبره أنه جاعل بينه وبين نسله علامة العهد أن يختتنوا كل مولود منهم، فالختان علم الدخول فى ملة إبراهيم، وهذا موافق لتأويل من تأويل قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾[1] :على الختان.

وبعد هذا العرض، وبعد أن استعرضنا فصولاً توضح وتبين أهمية الختان بالنسبة للذكر والأثنى، يمكن القول بأننى توصلت فى النهاية لعدة نتائج أوجز أهمها فى النقاط التالية:

١ ـ وجوب الختان على الرجال، وذلك نظراً لقوة آراء واستدلالات من قال بوجوب الختان على الرجال، ويمكن الرجوع إلى أقوالهم وقراءتها بدقة، وقراءة كذلك من قال بأن الختان سنة، ثم رد الموجبون للختان عليهم تصل إلى هذه البغية.

٢ ـ الختان بالنسبة للنساء سنة مؤكدة، وإن كان هناك من العلماء من أوجبه، لكن على أقل تقدير الختان للنساء سنة مؤكدة، والسبب يرجع إلى ما ذكرنا من أدلة من السنة ومن أقوال الصحابة رضى الله عنهم، كما أن هذا الأمر تواتر فعلياً، فلقد وصلنا هذا الأمر بطريق التواتر جيلاً عن

(١) سورة البقرة الآية رقم ١٣٨.

جيل، وعصراً بعد عصر، بأن الختان للنساء موجود من عصر الحبيب المصطفى ﷺ، ومن قبل البعثة النبوية، من لدن الخليل إبراهيم والسيدة سارة رضى الله عنها، ولم يشذ من العلماء أحد بأن قال بمنع ختان البنات، ولم أقرأ فى كتاب من الكتب، ولم يكتب فقيه من الفقهاء بمنع هذا العمل، أو بعدم وجوده، بل قد تواتر ذلك لنا ووصل إلينا شأنه شأن كثير من سنن الفطرة، التى ما زلنا متمسكين بها، وسنظل متمسكين بها إلى يوم الدين بإذن الله تعالى.

والناظر فى زماننا هذا يجد أن ظاهرة ختان البنات موجودة، ولا يزال الناس متمسكين بدينهم وشرائعهم، وإن شذت طائفة ممن يدعون المدنية الحاضرة، ولهذا نجد أن الرجل الذى لم يختن ابنته يخاف أن يُعَيَّرَ ولا يستطيع أن يُجَاهر بذلك، وقد كان ذلك موجوداً فى الجاهلية والإسلام، وكان الرجلُ يذم ويُشتم ويُعير بأنه ابن الْقَلْفَاء.

وفى نهاية هذا البحث أحب أن أسجل هنا وقفة للأزهر ورجاله ولجنة الفتوى، فقد قامت لجنة الفتوى بإصدار فتوى عن حكم ختان البنات أريدها أن تكون خاتمة لبحثى حتى يعرف القَاصى والدَانيِ بأن ديننا لم يترك لنا شيئاً إلا وبينه، ولم يترك لذوى الأهواء مجالاً لإلقاء تَفَاهَاتِهم وبَث سُمومهم، وليتنبه العقلاء لهؤلاء ولكل من يريد بدين الله وشرائعه سوءً.

والله تعالى أعلى وأعلم

وهو حسبنا ونعم الوكيل

الرابع عشر

فتوى دار الإفتاء المصرية عن حكم ختان البنات

جاء فى إجابة المفتى فضيلة المرحوم الشيخ جاد الحق على جاد الحق يوم التاسع والعشرين من شهر يناير عام ألف وتسعمائة وإحدى وثمانين ميلادية «٢٩ يناير ١٩٨١م»، بعد ذكره أدلة وأقوال الفقهاء فى حكم الختان قوله:

ومن هنا اتفقت كلمة فقهاء المذاهب على أن الختان للرجال والنساء من فطرة الإسلام وشعائره، وأنه أمر محمود، ولم ينقل عن أحد من فقهاء المسلمين فيما طالعنا من كتبهم التى بين أيدينا، القول بمنع الختان للرجال أو النساء، أو عدم جوازه أو إضراره بالأنثى، إذا هو تم على الوجه الذى علمه الرسول ﷺ لأم عطية فى الرواية السابقة[1].

أما الاختلاف فى وصف حكمه بين واجب وسنة ومكرمة فيكاد يكون اختلافاً فى الاصطلاح الذى يندرج تحته الحكم.

وقوله: وإذا استبان مما تقدم أن ختان البنات المسئول عنه من فطرة الإسلام وطريقته على الوجه الذى بينه رسول الله ﷺ فإنه لايصح أن يترك توجيهه وتعليمه إلى قول غيره، ولو كان طبيباً.

لأن الطب علم، والعلم متطور، تتحرك نظرته، ونظرياته دائماً، ولذلك نجد أن قول الأطباء فى هذا الأمر مختلف، فمنهم من يرى ترك ختان النساء، وآخرون يرون ختانهن؛ لأن هذا يهذب كثيراً من إثارة الجنس لاسيما فى سن المراهقة التى هى أخطر مراحل الحياة بالنسبة للفتاة، ولعل تعبير بعض روايات الحديث الشريف فى ختان النساء بأنه مكرمة[2] يهدينا

---

(١) سبق تخريج رواية السيدة أم عطية وهى رواية صحيحة ص٥٩.

(٢) حديث: «**الختان سنة للرجال، ومكرمة للنساء**» سبق تخريجه ص٢٦.

إلى أن فيه الصون، وأنه طريق للعفة، فوق أنه يقطع تلك الإفرازات الدهنية التى تؤدى إلى التهاب مجرى البول وموضع التناسل والتعرض بذلك للأمراض الخبيثة.

هذا ما قاله الأطباء المؤيدون لختان النساء، وأضافوا أن الفتاة التى تعرض عن الختان تنشأ من صغرها وفى مراهقتها حادة المزاج سيئة الطباع، وهذا أمر قد يصوره لنا ما صرنا إليه فى عصرنا من تداخل وتزاحم، بل وتلاحم بين الرجال والنساء فى مجالات الحياة من الملاصقة والزحام التى لاتخفى على أحد، فلو لم تقم الفتاة بالاختتان لتعرضت لمثيرات عديدة تؤدى بها، مع موجبات أخرى تزخر بها حياة العصر وانكماش الضوابط فيه إلى الانحراف والفساد[1] أ.هـ.

وقد طبعت هذه الفتوى منذ فترة فى كتيب تحت اسم (الختان) لفضيلة المرحوم الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر.

تم بحمد الله، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

تم الكتاب وربنا محمود ... وله المكارم والعلا والجود

وعلى النبى صلواتـــــه ... ما ناح قمرى وأورق عود

---

(٢) راجع كتاب الفتاوى الإسلامية ص٣١١٩ـ٣١٢٥

وكتاب ـ بيان للناس من الأزهر الشريف ـ الجزء الثانى ص٢٦٦ـ٢٦٧.

كلمة حق

أكد فضيلة الأستاذ الدكتور/ **نصر فريد واصل** مفتى الجمهورية عندما سئل عن حكم ختان البنات قال: «هو سنة تنظيمية، والشريعة أجازته، والسنة أباحته».

فهل بعد قول المفتى الجديد من رأى؟

أدعو المولى الكريم أن يهدينا إلى الصواب، وأن يوفقنا إلى الرشاد، وأن يجمع المسلمين إلى كلمة الحق إنه ولى ذلك والقادر عليه.

والله تعالى أعلم

---

(١) هذا المقال نشرته جريدة الوفد المصرية فى عددها رقم(٣٠٩٥) يوم الإثنين ١٧ رمضان ١٤١٧هـ/ ٢٧ يناير ١٩٩٧م.

الحكم بإلغاء قرار وزير الصحة بمنع ختان الإناث

قرار محكمة القضاء الإدارى

ألغت محكمة القضاء الإدارى قرار وزير الصحة بمنع إجراء ختان الإناث بالمستشفيات أو العيادات العامة والخاصة، وقصر إجرائها على الحالات المرضية.

صدر الحكم برئاسة المستشار/ عبد العزيز حمادة نائب رئيس مجلس الدولة، بأمانة سر سامى عبد الله.

قالت المحكمة: إن فقهاء الشريعة اختلفوا حول مدى وجوب الختان للإناث، كما اختلف الأطباء أيضًا حول مدى فائدته وأضراره، وإضافة رأى فقهى على آخر، أو حظر أمر مباح شرعًا، أو تقييد حق الأطباء فى مزاولة مهنتهم المنظمة بقانون معمول به يسمح لهم بإجراء كافة العمليات الجراحية لا يجوز أن يتم بقرار وزارى، وإنما يجب أن يكون بقانون.

وأشارت المحكمة إلى أن الحظر الذى فرضه القرار على الأطباء من شأنه أن يعرضهم للمساءلة الجنائية والتأديبية، وفى ذلك خروج على الدستور الذى نص على أن لا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون.

وأكدت أن القرار لو حظر عمليات الختان على أدعياء الطب من القابلات والحلاقين لكان سليمًا؛ لأن القانون عاقبهم جنائيًا، ولكنه تجاوز هذا الحد واقتحم مجالاً لا يجوز خوضه بقرار وزارى، فتجاوز بذلك حدود سلطانه. أ. هـ.

جريدة الأخبار المصرية فى ٢٥/ ٧/ ١٩٩٧م

العدد(١٤٠٨٦) السنة ٤٦

وعقب صدور هذا الحكم أعلم المتحدث باسم الخارجية الأمريكية (نيكولاس بيرنز) أنه طلب من الحكومة المصرية التصدى لقرار المحكمة

الدستورية الذى حظر منع عملية الختان.

وفى نفس اليوم أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية فى مؤتمر صحفى، أنه يجب على الحكومة المصرية أن تبذل قصارى جهدها لعدم تنفيذ القرار.

جريدة الوفد المصرية فى ٢٧/ ٧/ ١٩٩٧م

العدد(٣٢٥٠)

وكلام وزيرة الخارجية الأمريكية بصيغة الأمر (يجب) أرأيتم مهانة أكثر من ذلك؟ وزيرة خارجية بلد الشواذ تتدخل فى أدق خصوصيات الأسرة المصرية.

والحق يذكر أن الحكومة المصرية الرشيدة لم تستمع إلى هذه الأوامر، ولم ترعها اهتمامًا، ولم تعلق عليها، وألغى قرار الوزير، أو أصبح لا فائدة له والحمد لله رب العالمين.

«ثبت المراجع مرتبًا ترتيبًا هجائيًا»

* الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسى (ت٧٣٩هـ) ط دار الكتب العلمية بيروت.
* الاختيار شرح المختار للموصلى ط دار الفكر.
* الأدب المفرد لإمام الدنيا أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (ت٢٦١هـ) ط وزارة العدل والشئون الإسلامية.
* الإفصاح عن معانى الصحاح ليحيى بن هبيرة الحنبلى ط عيسى الحلبى.
* بانتظار حورية من الجنة لمحمود النجيرى.
* البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقى (٧٧٤ هـ) ط مكتبة المعارف بيروت.
* بيان للناس من الأزهر الشريف، مجلة دورية.
* تحفة المودود بأحكام المولود للحافظ ابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ) ط دار الإيمان المنصورة بتحقيق المؤلف.
* تفسير ابن جرير الطبرى لإمام المفسرين محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ)ط دار المعرفة بيروت، ونسخة أخرى وهى دارالمعارف بمصر.
* تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ط مكتبة دار التراث بالقاهرة.
* تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير للحافظ ابن حجر العسقلانى (٨٥٢ هـ) ط دار المعرفة بيروت.
* التليفزيون بين الهدم والبناء لمحمد كامل بن العمر ط دار التراث.
* تنبيه الغافلين لأبى الليث السمرقندى ط دار الإيمان بالمنصورة.
* تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلانى ط دار الكتاب الإسلامى.
* الجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ) ط دار الكتب العلمية بيروت.
* الحجاب لأبى الأعلى المودودى ط المكتبة الحديثة.
* الخصائص الصغرى للإمام جلال الدين السيوطى.
* الدر المنثور للحافظ السيوطى ط عيسى الحلبى.
* دلائل النبوة للحافظ أبى نعيم الأصبهانى ط دار الفكر.
* روضة المحبين للحافظ ابن قيم الجوزية ط دار الجيل.
* سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألبانى ط المكتب الإسلامى.

* سنن ابن ماجه للحافظ محمد بن يزيد بن ماجه (ت ٢٧٥ هـ) ط إحياء الكتب العربية، ودار الريان.
* سنن أبى داود للحافظ أبى داود بن سليمان بن الأشعث السجستانى (ت ٢٧٥ هـ) ط دار الحديث بالقاهرة.
* سنن الترمذى للحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٩٧هـ) ط دار الكتب العلمية بيروت.
* سنن الدارقطنى للحافظ أبى الحسن على بن عمر المعروف بالدارقطنى (ت٣٨٥ هـ) ط دار عالم الكتب.
* سنن الدارمى للحافظ أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى (ت٢٥٥ هـ) ط دار الريان بمصر، ودار الكتاب العربى.
* سنن سعيد بن منصور للحافظ سعيد بن منصور بن شعبة الخرسانى المكى (ت ٢٢٧ هـ) ط دار الكتب العلمية.
* السنن الصغرى للحافظ البيهقى (ت ٤٥٨ هـ) ط دار الوفاء بالمنصورة.
* السنن الكبرى للبيهقى ط دار المعرفة بيروت.
* سنن النسائى للحافظ أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) ط دار الكتب العلمية.
* شعب الإيمان للإمام البيهقى ط دار الكتب العلمية.
* صحيح الجامع الصغير للشيخ الألبانى ط المكتب الإسلامى.
* صحيح مسلم ط إحياء الكتب العربية.
* صفوة التفاسير ط دار الكتب العلمية.
* العفة ومنهج الاستعفاف ليحيى بن سليمان العقيلى ط دار الوعى بالكويت، ودار الوفاء بمصر.
* العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية لأبى الفرج عبد الرحمن على بن الجوزى ط دار الكتب العلمية.
* عمل اليوم والليلة لأبى بكر بن السنى (٣٦٠ هـ) ط مكتبة التراث الإسلامى.
* عمل اليوم والليلة للنسائى ط مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.
* الفتاوى الإسلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية. ط دار المعرفة.
* فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى ط دار الريان والمكتبة السلفية.
* فيض القدير بشرح الجامع الصغير للإمام المناوى ط عيسى الحلبى.

* القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ط دار الحديث بالقاهرة.
* الكامل لابن عدى عبد الله بن عدى الجرجانى (ت ٣٦٥ هـ) ط دار الفكر بيروت.
* كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمحدث على بن حسام الدين. . المتقى الهندى (ت ٩٧٥ هـ) ط مؤسسة الرسالة.
* لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلانى ط مؤسسة الأعلمى بيروت.
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمى ط دار الكتاب العربى بيروت.
* المحلى لابن حزم الظاهرى ط دار التراث بالقاهرة.
* مذكرات الدعوة والداعية لفتحى يكن ط عيسى الحلبى.
* مسئولية التربية الجنسية لعبد الله علوان ط دار الشروق.
* المستدرك للحاكم النيسابورى أبى عبد الله (ت ٤٠٥ هـ) ط دار الفكر.
* مسند أحمد بن حنبل الشيبانى (ت ٢٤١ هـ) ط مؤسسة قرطبة.
* مصنف ابن أبى شيبة للحافظ أبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة (٢٣٥ هـ) بدون طبعة.
* مصنف عبد الرزاق للحافظ أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى (ت٢١١ هـ) ط المكتب الإسلامى.
* المعجم الصغير للطبرانى (ت ٣٦٠ هـ) ط دار الكتب العلمية بيروت.
* المعجم الكبير للطبرانى ط مكتبة ابن تيمية بالعراق.
* المغنى مع الشرح الكبير لابن قدامة بمكتبة أصول الدين بالمنصورة.
* المنتخب من مسند عبد بن حميد لأبى محمد عَبْد بن حُمَيْد الحافظ (ت٢٤٩ هـ) ط مكتبة السنة بالقاهرة.
* موطأ مالك بن أنس إمام دار الهجرة (ت ١٨٩ هـ) ط دار إحياء الكتب العربية.
* ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للحافظ الذهبى ط دار المعرفة بيروت.
* نقائص الأطفال وطريقة إصلاحها لمحمد الاستانبولى ط دار الشروق.
* نيل الأوطار للإمام الشوكانى (ت ١٢٥٥ هـ) ط مكتبة دار التراث.
* وداعاً للخلاف فى أمر الختان للدكتورة/ نور السيد راشد ط دار الوفاء بالمنصورة.

تم ثبت المراجع بحمد الله تعالى

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

تناول هذا الكتاب الموضوعات التالية :

* تعريف الختان، ووقته، ومتى يستحب ومتى يجب.
* مشروعية الختان وحكمته.
* أقوال الفقهاء فى الختان وأدلتهم .
* بيان القدر الذى يؤخذ فى الختان.
* أحكام الأقلف من صلاته وطهارته.
* المسقطات لوجوب الختان.
* الحكمة التى لأجلها يعاد بنو آدم غرلاً.
* ختان أشرف الخلق ﷺ.
* ختان خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام .
* ختان المسيح عليه السلام.
* حكم ختان البنات وما يدور حوله الآن من أقوال. مع الاستدلال بأدلة قاطعة من السنة تؤكد وجوبه.
* فتوى دار الإفتاء المصرية عام ١٩٨١م، وكتاب الختان الذى صدر مؤخراً لفضيلة شيخ الأزهر المرحوم جاد الحق على جاد الحق.
* رأى فضيلة الأستاذ الدكتور/ نصر فريد واصل مفتى الجمهورية الجديد.

رقم الإيداع : ٥٤٠٠ / ١٩٩٨ م

الترقيم الدولي
I . S . B . N . 977-5826-81-0